BAQI

AMIN AL-RIHANI

Princeton University Library
32101 074497452

2274
.45
.558

2274.45.558
Baqi
Amin al-Rihani...

DATE	ISSUED TO
JUN 8 '70	BINDERY

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

واصف باقي

أمين الريحاني

وأثره في النهضة الأدبية الحديثة

توزيع
مكتبة النوري
دمشق: ص.ب - ٨٣٤

واصف باقي

Bāqi, Wāṣif

Amīn al-Rīḥānī

أمين الريحاني

وأثره في النهضة الأدبية الحديثة

توزيع
مكتبة النوري
دمشق: ص.ب - ٨٣٤

2274
.45
(onts) .558

الإهداء

إلى من بعثوا في نفسي الأمل في الحياة

إلى من أناروا لي الطريق . . !

أقدم باكورة إنتاجي .

واصف

6-4-70 1985

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن أول ما حدا بي إلى دراسة هذا الانسان كلمة الأستاذ حارث طه الراوي إذ يقول :

« إن شخصية أمين الريحاني ما تزال جديرة بالدراسات خليقة بالبحوث الطويلة والتنقيب المستمر ، فالريحاني منجم غريب يضم الذهب والألماس والياقوت . . . وغرابة هذا المنجم لا ترجع إلى كونه يضم شتى المعادن الكريمة فحسب بل لأنه منجم مشرق لا يعرف العتمة ، فالذي يدخله ينتعش ولا يشعر بالاختناق ، ويطمئن ولا يشعر بالقلق والوحشة ...[1]

أي أفق واسع الأرجاء ، وأي خيال دائم التحليق ، وأي عقل دائم البحث والتعليل ، وأي قلب دائم الرجاء والتفاؤل وأي إنسان هو أمين

---

١) انظر مقدمة كتاب حارث الراوي (الريحاني) « ١٨٧٦ - ١٩٤٠ »

الريحاني . إن شرقنا العربي لم يفتقر في أواخر القرن التاسع عشر وفجر القرن العشرين إلى الأدباء والشعراء والخطباء والمصلحين ولكن الذي أريد قوله : كم من هؤلاء استطاع أن يقبض على زمام المعارف البشرية كما قبض عليها أمين فارس الريحاني ....

إن شخصية الريحاني تضم ابن خلدون وابن بطوطه وابن رشد والمعري وفولتير وموليير ، فهو مؤرخ وهو فيلسوف وهو حكيم وهو أديب سافر وهو رحّالة ، وهو شاعر ، وإن لم يقترب من عمود الخليل بن أحمد الفراهيدي .

مؤرخ لا يتطفل على التاريخ ، وفيلسوف لا يتطفل على الفلسفة وأديب لا يتطفل على الأدب ، ومصلح لا يتطفل على الاصلاح وثائر لا يتطفل على الثائرين ، وناقد أدبي لا يتطفل على نقاد الأدب والفن .

حقاً إن هذا اللبناني الرحالة يتمتع بشخصية تثير في النفوس ـ ولاسيما بنفوسنا نحن العرب ـ الشيء الكثير من الاكبار الممزوج بالزهو والفخر.

وإن أهمية شخصية الريحاني لا تقف عند حدّ هذه العبقرية التي امتدت جذورها في تربة الفلسفة والأدب والتأريخ وإنما تتعدى ذلك إلى أمر مهم غاية الأهمية، وهو أن هذه الشخصية وقفت في وجه العصر المتشبث بالقيم الزائفة وصمدت أمام الرجعية المخيمة على العالم العربي ولم ترفع راية الاستسلام أمام القيم الفكرية المنهارة في هذا الشرق ....

إن هذا الصمود وهذه الشجاعة الفائقة ، وهذا الاصرار يوجب

الاكبار من غير شك ، ويفسر لنا ظهور العقيدة الثابتة عند مفكرينا بعد عهود التذبذب الفكري .

ثم ان أدب الريحاني يمثل لنا صلة الأدب بالحياة . وهي صلة أشبه ما تكون بصلة الرضيع مع الأم ، فلا لذة له إلا بامتصاص ماء الحياة من ثديها السخي ، لا غنى له عن الطبيعة في سكونها وثورتها ، في إشراقها وعبوسها ، في سخائها وشحّها ، ولا غنى له عن الانسان ، سيد الطبيعة وابنها المبدع لا غنى له عن سبر مجاهل نفسه والغوص إلى أعمق أعماقه لكشف مخبآت النفس الانسانية العجيبة .

وهذا الأدب المنبثق من الحيـــاة والأحياء ، المصور لأدق حالات الانسان النفسية ، المغربل لأهوائه ونزواته ومطامحه ، لخيره وشره ، هذا الأدب بالذات ، لم يكن رائجاً في الأدب العربي قبل القرن العشرين وإنما كان يتلاشى بين جعجعة الألفاظ الضخمة والمحسنات اللفظية والطباق والجناس وكادت الألفاظ الضخمة أن تكون مقصودة لذاتهـــا وكادت أسباب البلاغة أن تكون الهدف الأخير من النتاج الأدبي ولهذا رأينا نقادنا القدامى يصرفون أوقاتهم لدرس النتاج الفكري من حيث اللغة وألفاظها ونحوها وصرفها ، قبل أن يتطرقوا إلى مدى ارتباط الأدب مع الحياة ومدى تعبيره عن خفايا النفس الانسانية . ومدى صدقه في التعبير عن الحياة والانسان .

ولما ظهر شكسبير في أوروبا وأخذ على عاتقه التعبير عن شتى حالات النفس الانسانية ، وتصوير خير الانسان وشره على أدق ما يكون التصوير ،

بأروع ما يكون التعبير ونهل بعده أدباء الفرنجة من منهله الكثير الزحام، فأبدعوا وقبضوا على زمام النفس الانسانية وجالوا جولاتهم المشهورة في عالم النفس فكشفوا ضعفها ومجدوا قوتها وندّدوا بشرها وعظموا خيرها فتبلورت صلة الأدب بالحياة والنفس الانسانية. ولما جاء القرن التاسع عشر بدأ التزاوج بين الفكر الغربي والفكر العربي ولكنه كان على نطاق ضيق، ولم يتسع إلا في فجر القرن العشرين عندما ظهر الريحاني، قبل جبران ونفخنا بريحانياته التي نظر فيها نظرة إنسانية شاملة إلى الكون والحياة الانسانية، نظرة لا تقل في شمولها عن نظرات أدباء الغرب ولم يخـــل أدب الريحاني آنذاك من البلاغـــة العربية، ولكن معانيه كانت تطغى على ألفاظه.

ظهر الريحاني ليعطينا من نفسه لا من القاموس، جاء ليقوم بتجربة مزيده في تاريخ الأدب العربي، جاء ليقوم بدور الفاتح الممهد، والفاتـح من غير شك يتعرّض للأخطاء التي قد يستفيد منها خلفه ومعاصره، فيتجنبها وينجو من العثار، ولكن الريحاني شذ عن هذه القاعدة فكان فاتحاً عبقرياً لم يتعثر إلا في فجر حياته الأدبية، ولم يشذ في ذلك عن سائر العباقرة في فجر نبوغهم ... لا أريد أن أسهب في المقدمة اكثر من هذا ولكن تعريف الاستاذ الراوي عن الريحاني هـو الذي حفزني إلى تسجيل هذه المقدمة كما حفزني إلى البحث والتنقيب عن جوانب هـذه الشخصية الأدبية فشأن هذه الشخصية العربية القابضة على زمام الثقافتين الغربية والعربية وأهمية أثرها في نهضتنا الفكرية والاجتماعية والسياسية.

هذا ما دفع بي إلى إعداد هذه العجالة، كما قد يدفع غيري في المستقبل

إلى تأليف كتب مسهبة عن هذا الانسان ولم أحلم وأنا أفكر في جمع مادة هذا البحث بأنني كتبت كل شيء عن حياة الريحاني ، ولكنني تناولت جوانب هامة ومناحي جديرة بالبحث، ولا أدعي الكمال في البحث ولكنني أقول إن ما أثرته في هذا الكتيّب قد يكون نواة لكتاب أوسع وأشمل ـ كما قلت ـ ولكنه على أي حال لا يعدو أن يكون دليلاً إلى هذه الشخصية الخصبة في عصرنا الذي يكاد أن يتّسم بطابع الجدب ، وتكاد أن تكون فيه القيم معكوسة والأحكام مرتجلة والأفكار متسرعة والآراء متهورة ، وهذه آفتنا في هذه الأيام المضطربة التي نعيشها الآن وبخاصة بعد الأحداث الأخيرة ونحن نتطلع إلى مستقبل أفضل وحياة حرة كريمة تناسب كرامتنا الغابرة وعزنا القديم فما أحوجنا إلى المفكر الحرّ الذي عركته الأيام وصهرته الأحداث بل ما أحوجنا إلى مفكر ذي نزعة وطنية رائدة ، يدرأ عن الأمة طمع الطامعين واعتداء المعتدين ... ومن هؤلاء بل في طليعة هؤلاء أمين الريحاني الذي قال كلمته ومشى ، ولم يعبأ بلوم اللائمين لأنه لم ينطق بغير الحقيقة ... هذا هو الريحاني الذي نحن بصدد الحديث عن شخصيته وأدبه . والله المستعان وهو ولي التوفيق .

المؤلف

حلب ١/١٢/١٩٦٨

الفصل الاول

تمهيد البحث

قبل أن يشرف القرن التاسع عشر على الانتهاء ويدلف نحو النهاية انبثق عن هبة عبقرية هيأتها العناية الالهية لتسكن العالم الأرضي علها تمنح البشرية بعض العزاء وتقودها نحو شواطيء الأمن والسلام لعل هذه الهبه قد زاها تجسدت في شخص(الريحاني) وهو في نظري أحق من يدرس وأجدر من يُعنى باستقصاء نتاجه وحياته ، وجدير بالباحثين أن يقفوا عنده وقفتهم إزاء مصلح اجتماعي كبير أبدع نفحات جديدة في أدبنا العربي لم يسبقه إليها أحد لما يتمتع به من نفس كبيرة فسحت مجالاً لمشكلات الأمة وتفهمها بعمق ووضعت لها حلولاً منطقية وواقعية .

ولكي نوضح هـذا القول سندرس هذه الشخصية في جميع معالمها والعوامل التي أثرت في حياتها وفي نتاجها. بعد ذلك نشير إلى مكانة الريحاني بين المصلحين الاجتماعيين في بلادنا ، هل سار على منهجهم أم جاوزهم بسعة تفكيره ورقة إحساسه ؟ .

بعد ذلك نتناول الجوانب التي تطرق لها في إصلاحه فنقسمها قسمين ـ لتسهيل الدراسة ـ جوانب اجتماعية وجوانب قومية مراعين في ذلك الاطار الانساني الذى لم يغادره الريحاني في جولاته الاصلاحية ، وعقب الانتهاء من ذلك ننطلق إلى دراسة الطرق الفنية التي بث الريحاني خلالها آراءه ونظراته إلى مجتمعه وقومه وحياته .

لقد كان أمين الريحاني ابن عصره (١) ،صنعته : أحـــداث العصر الحديث ومثل فصلاً هاماً على مسرح حياته وقصة السنوات المائة الماضية بأحداثها وأبطالها من أروع القصص في تاريخنا ؟ وهي تبدأ منذ بدأت الأحداث تجري مسرعة عجلى مع بداية النصف الثاني من القرن المنصرم؛ وكان الوعي السياسي قد بدأ يساير تلك الأحداث في العالم الاسلامي كله.

وكان الرواد المصلحون أمثال الأفغاني والكواكبي ومحمد عبده بعض الأبطال في تلك القصة ولكنهم لم يكونوا وحدهم صانعي الأحداث .

وفي مطلع منتصف القرن التاسع عشر تحولت الجموع في الوطن العربي وثارت تحمل راية الدعوات الفكرية والاصلاحية وتسير جميعاً إلى هدف واحد هو التحرر من ضروب الاستبداد والجهد والتخلف ومواكبـــة المسيرات الحضارية المتتابعة في الشرق والغرب ..

وبذا بدأ الوضع في الوطن العربي منذ القرن الماضي بحيث تهيأت له من الأسباب ما جعله يقوى على أن يفتح نوافذه المغلقة فيقبل النسيم الهادىء

---

(١) أي أنه قد كان بحق من زعماء الحركة الفكرية ودعائم النهضة الادبية .

الذي يزيح هذ الجو الخانق ، ويتثاءب من جديد ليطرح عنه خمار النوم نوم طويل لا سيما وإن الله قد قيّض له رجالاً مصلحين حملوا شعلة التحرر والحرية والاستقلال والاصلاح والتقدم .

حياته

في رحاب الطبيعة الوارفة المسبلة ظلالاً على أرض لبنان نشأت ثمرة طيبة انبثقت عام (١٨٧٦) فأعطت العالم خيراً وفيراً، وكان الريحاني(١) بحق هذه الثمرة التي شهدت الحياة في وادي الفريكة حيث يخيم الهدوء الموحي بالطمأنينة مما يتيح للانسان التأمل في هذه الفسحة الممتـــدة من الأرض .

وقد قدر لهذا العبقري أن يعيش في أسرة ورعة ، لم تعان من محن الدهر ما أقلقها ومن قساوة الأيام ما فت في عضدها . لقد كانت الأم محبة لولدها تنهج في تربيته منهج الدين المسيحي أما الأب فكان لا يدع فرصة تفوته في إسعاد ولده .

وبالاجمال فقد نشأ في اسرة متحابة جعلته يذوق طفولة سعيدة لم تشبها التعقيدات النفسية والظروف القاسية ، وحياته السعيدة الوادعة جعلت

---

(١) سمي الريحاني نسبة الى الريحانة « النبات المعروف » - أعلام الزركلي ٢٥٩/١

منه إنساناً مصلحاً لا ينقم على الناس والمجتمع وإنما فتح صدره الرحب ونفسه المتفتحة للناس ومشاكلهم .

وحينما بلغ السابعة من العمر تلقى بداية دراسته في مدرسة القرية كما تلقى مبادىء القراءة وعلوم الدين المسيحي على رجل الدين في قريته ثم تابع دراسته حيث أتم التحصيل الابتدائي وحينما بلغ الثانية عشرة من عمره رحل إلى بلاد أمريكة مع عمه واستاذه الذي رعاه في مرحلة التعليم الابتدائي ، وهناك دخل مدرسة الراهبات (راهبات المحبـــة) ليتقن اللغة الانكليزية .

بعد ذلك أخذ يعمل في التجارة بَيْدَ أن عمله هذا لم يحد من نشاطه الدراسي ولم ينقطع به عن استمرار مطالعاته الخاصة إلى جانب انتسابه لمدرسة ليلية هناك وراح يتابع الدروس كما استمر في مطالعـة الكتب الانكليزية والافرنسية . واطلع على الثقافات الأجنبية حتى تيسر له أن يدرس الحقوق .

وفي عام (١٨٩٨) مرض الريحاني فقفل راجعاً إلى لبنان بعد أن تقمّص عقله ثروة ثقافيه كبيرة ومعرفة جمة ، وقد هيأت له العودة أن يمارس تعلم اللغة العربية وأن ينكب على حفظ أدبها حتى تمكن من أصولها ، ومما لاريب أن فيه الثقافة الأجنبية التي عبّ منها قد وسعت آفاقه الفكرية... ومع ذلك لم يستقر الريحاني في لبنان بل ظل يتنقل بين أمريكا ولبنان

مدة طويلة مع أنه اتخذ لبنان مقراً له [1] وقد أتاحت له هذه الرحلات أن يتقرب من أعلام الأدب المهجري [2] ونخص منهم بالذكر (جبران خليل جبران) ولكن خلافاً وقع بينهما مما منع الريحاني من الانضمام للرابطة القلمية .

وخلال هذه الفترة شرع يقدّم لنا أدباً جميلاً ونتاجاً حياً مستوحياً بذلك جمال الشرق ومعالجاً مشكلات وطنه الذي ترعرع في أحضانه ولعل السبب الذي جعله ينكفيء راجعاً إلى بلاده هو حبه لها وشغفه بربوعها وبطبيعتها السخية الغناء ، أضف إلى ذلك اطلاعه على آداب أمته وتاريخها مما جعله يرتبط بوطنه هذا الارتباط الوثيق ، وجعله يتعلق به هذا التعلق الوشيج ولعل نفسه الأبية التي تكره التدجيل والمحاباة والرياء سلختـه من مدنية الغرب وجذبته إلى أمته [3] فأطل عليها من تلك النافذة نافذة حب الوطن الذي تثيره محبة الطبيعة .

إن ضوضاء أمريكا يكرهها رجل كالريحاني ، ولهذا ظل يعمل مسيراً بعوامل باطنية حتى أفلت منها عائداً إلى بلاده يدعو إلى الاتحاد والاخاء والحرية [4] .

---

(١) فهو من جملة رحالي العرب الحديثين زار المكسيك هرباً من شتاء نيويورك ويكفي هذا مثلاً على حبه الترحال اذ كان مولعاً بالتنقل حتى اننا نراه لم يترك بلداً عربياً إلا زاره ودرس أحواله وألف فيه وقد كان وساطة اتصال بين ثقافة العرب وثقافة الغرب بما قدم من مقالات وبحوث عن الشرق العربي باللغتين العربية والانكليزية .

(٢) لذا يمكننا أن نعتبره من رواد الادب المهجري في العصر الحديث .

(٣) على حد تعبير الكاتب مارون عبود في حديثه عن سبب عودة الريحاني إلى الى لبنان (انظر الاعلام ٣٥٩/١)

(٤) وهذا يدلنا على أن هذا الانسان عصامي النشأة .

عصره

أما عصر الريحاني فكان عصراً مضطرباً قلقاً يتجه نحو قلب المفاهيم القديمة ويبشر باندلاع ثورة على آثار الظلم والعبودية على كل حكم أجنبي دخيل فكانت هـــذه المشاهد الاجتماعية والسياسية التي عايشها تمر أمام ناظريه فترسم انطباعات عاشت في شعوره البـــاطن واختمرت في زوايا نفسه ثم أتت أكلها فيما بعد .

أما الحياة الفكرية فقد شهدت انتفـــاضة منتعشة على أيدي بعض الشبان الذين أحسوا بعمق بالحـالة المضطربة التي تمر فيها البلاد غير أن بقية الشعب كان يرفل بثوب الجهل المطبق الذي بدأ يزول ويحترق بأوار الخطب والأحاديث الشيقة الحارة التي كان يقذفها دعاة الاصلاح آنذاك .

ومما يجدر ذكره أن العصر القلق المضطرب ـ كهذا ـ والمشوب بالأحداث الجسام والخطوب الفادحة من حقه أن يوقظ مشاعر النفوس السامية المرهفة ويدفعها إلى ميدان الاصلاح فكان هذا العصر بحق أول وأعز الريحاني إلى نقد مجتمعه وإلقاء دلوه في إصلاحه وإنعاشه وبالأخذ بيد أبناء جلدته إلى طريق الوعي والأمان والخير والفلاح .

الفصل الثاني

مكانة الريحاني في حيِّز الإصلاح الاجتماعي

عرف الريحاني في أنه يمت بصلة وثيقـــة إلى شعب عربي شاءت له الأقدار أن يتخبط في دياجير الظـلام ردحاً من الزمن إن وجد متسعاً تحرك وإن وجد متنفساً ثار ، ولكن أين القادة النجبـاء الذين يزيحون العقبات عن طريقه وأين المصلحون الأقوياء الذين يكسرون الحواجز التي تحد مداه .

أحس الريحاني أن الوقت قد حان ليعلن تمرده ويحمـل شعبه على أن ينهض من رقاده وأن ينتفض من سباته فأخذ ينهج الطريق اختطه غيره من المصلحين ، لقد تلاقى الشعب العربي قبل الريحاني بكوكبة من الأبرار الذين أخذوا على عاتقهم إيقـــاظ الشعب من كبوته والدفع به إلى عجلة التقدم ليحرز قصب السبق ويواكب الشعوب الحية الكبيرة في تقدمهـا وتمدنها وتحررها وانطلاقتها المثلى في الحيـاة . ونذكر بعضاً من هؤلاء الرواد ـ على سبيل المثـال لا الحصر ـ « جمال الدين الأفغاني ـ وأحمد

فارس الشدياق ورفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وعبدالرحمن الكواكبي»[1] ولا أستطيع أن أقول أن الريحاني مطلع العصر الحديث قد برّ أقرانه من المصلحين [2] ولكنني أقول أنه تابع حمـــل لواء الاصلاح في المركبة الحضارية الحديثة منذ فجر النهضة التي شهدتها أمتنا العربية آنئذ .

ولو استطاع هؤلاء أن يشقوا غياهب الظلمـــة بنور مصابيحهم فقد ظلت أنوارهم خافتة لم تشعها نفس أصدرت مبادئها عن فلسفة اقتبستها من حقائق النفس والحياة ومن الواقع الذي يعيش به الشعب العربي ولا نعني بهذا أن الرواد لم يفهموا واقع الشعب العربي الذي عاصروه بل هم فهموه حقاً لأنهم منه وإليه ولكن الذي أريد أن أقوله : إن العلاج الذي وصفوه ظل متأثراً بما يحملونه في قلوبهم من نقمة حلّت بهم عقب صدمات كثيرة

ثم إنهم قصروا قليلاً في معرفة أعماق النفوس البشرية وما ينتابها من أزمات واضطرابات من خلال مشكلات الحياة وأحداثها .

أما الريحـــاني بالذات فقد استطاع بما يملكه من إحساس شديد الغوص في أعماق النفس الانسانية وسبر أغوارها والتجول في متاهاتها فيعرف نزعاتها ويكشف من رغباتها ويسمع وقع أصداء الحياة في جنباتها

«١» يعتبر هؤلاء الاعلام النجباء من رواد النهضة والاصلاح ومن أقطاب الفكر والادب والبيان ومن أعلام الوطنية .

«٢» هو حقوقي كما أولم فترة بالتمثيل ، يعتبر الى جانب كونه كاتباً فهو مؤرخ وخطيب مصقع . هذا كله بجانب كونه أحد رواد النهضة والاصلاح الذين ذكرناهم .

فينزع الغطاء عن أحاسيسها ويرفع الستار عما خفي من انفعالاتها ثم يرى بأم عينيه الضيق الذي تتكمش فيه، أو يلمح الاتساع الذي يمتد في جوانبه.

لقد رأى كاتبنا كل هذا بأم عينه ولا ريب أن تحسسه العميق أوقعه في حيرة وقلق تراءى له فيـــه إنه معلق بين السماء والأرض يفتش عن مستند يستند إليه ودعامة يرتكز عليها وهـذه هي الخطوة الاولى التي يخطوها كل إنسان تنبهت مشاعره إذ يقع في أول الأمر في دوامة شديدة فتتضارب الآراء في رأسه وتضطرب الأفكار في ذهنه وتتشعب الخواطر في مخيلته ثم ينتقل بعد ذلك إلى مرحلة الاستقرار الوادع .

نتساءل الآن كيف انتقل هذا الانسان الاجتماعي المفكر إلى مرحلة الاستقرار وبعبارة أخرى كيف توضحت له الحقائق وتبدت له الأشياء والأمور واضحة جلية لا غبار عليها ثم كيف استطاع أن ينتشل نفسه من هذه الحيرة ؟

لقد استقى الهدوء الحالم والاستقرار من محبوبته الطبيعة ، التي شغف بها ونشأ في ربوعها وترعرع بين جنباتها فنراه الآن يعود إليهـــا بشوق وحنين يستلهمها الحقـــائق ويسترشدها الواقع ويستنشدها الصواب ويشاركها الاحساسات الرقيقة والمشاعر الدقيقة وقد حدثنا ذلك في ريحانياته (١) .

. . لقد تحير وتردد كثيراً ثم جاء إلى الطبيعة التي تعلق بهـا يكتسب

---

(١) المقال بعنوان : العودة الى الطبيعة من كتابه الريحانيات .

الاستقرار فماذا أعطته هذه الطبيعة وبم أمدته ، لنسمعه يقول عنها في ريحانياته :

« . . وهي غذاء لمن يخرج من الهيئة الاجتماعية والنفس نافرة من محيط هي غريبة عنه، ويعتزل الناس طلباً من الطبيعة الراحة التي لا يعرفها الناس واللذات التي يشعر بها الناس والتعزية التي قلما تعزي عامة الناس»(١).

نلاحظ من خلال استقرائنا لهـــذه السطور من كلمة الريحاني أن نفسه من الأنفس الكبيرة التي قلما تنـام ، فهي تفيق قبل صياح الديكة فتفتح عينيها في ظلمة الليـل الحالك وتقاسي قبل بزوغ الفجر من العذاب والحيرة أشدها ، وذلك من خلال الظلمات الدامسة ثم يقول : « ومن الأنفس السامية الهـــادئة المتفردة ينبثق نور الحب ونور الحكمة ونور الحقيقة وفي الأنفس السامية المتفردة الهـادئة ينابيع الجمال جمال الفنون وجمال الروح وجمال الحيـــاة السعيدة وإلى الأنفس المتفردة السامية الهادئة تعود حسنات التمدن الحديث لترينا فيها أسبابها لذلك كتبت فوق بابي : في إصلاح الفرد إصلاح أمته ، وفي تهذيب الشعب إصلاح الرؤساء والحـكام » (٢) .

---

(١) انظر بدائع نفسيته وروائع تعبيره بكل ما سطره في ريحانيـــاته حول حول الطبيعة ووصفها وتصويرها .

(٢) هذه ناحية جديرة بالاهتمام حقاً ، ولذا نرى هذا المفكر المصلح ركز على هذه الزاوية التي لها شأن كبير في ميدان الاصلاح حتى انه وضعها نصب عينيه كما رأينا .

وهكذا رسم الريحاني صورة المصلح الاجتماعي وكأنه بذلك يعطينا صورة لنفسه التي حاول أن يصلحها أولاً ثم حاول أن يصلح بقية الناس الذين يعيش معهم في مجتمعه الصغير .

. . ونتساءل الآن هل حقق الريحاني في أقواله ؟

الواقع إن أعمال الريحاني وكتبه التي تمكنا من الاطلاع عليها نجد أنها تؤيد ذلك وتثبته بوضوح وجلاء . . لقد أراد الريحاني أن يشعل نار تمرده في أرجاء العالم العربي فينير الظلام ويحرق بأوارها الأدران التي تعلقت بجسد الأمة العربية لهذا ولذلك كله حاول الريحاني أن يسبر أغوار النفس البشرية وينفذ إلى أعماق الناس ويغوص في دواخلهم ما أمكنه ذلك محاولاً استئصال الداء العضال الذي ينبش في أعضاء أفراد الأمة التي عاصرها وبعد ذلك نراه يحاول الانتقال إلى محيط الانسان في مجتمعه فيجرده من بواعث التأخر وأسباب الركود والجمود ثم يسير سيراً حثيثاً شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى دائرة الحياة السياسية فيعمل على اصلاحها. إذن فهو يبدأ بالفرد كجزء من هذا المجتمع ثم يلتفت الى المجتمع ككل والذي هو لبنات من هؤلاء الأفراد . أريد أن أقول إنه يحاول استقصاء الداء من دواخل الفرد والتعرف عليه ثم معالجته في المجتمع بصورة عامة ، وذلك على ضوء الواقع الذي يعيش فيه وأحياناً ينظر إلى بعيد فيستشف نتائج الأحداث ومغباتها وذلك من عمق تفكيره الناضج المتفتح وبعد نظراته الثاقبة فهو مع ذلك لا نجده ينظر الى الماضي والحاضر فحسب بل يشق حجب المستقبل فيتراءى له من خلالها مصير هذه الأحداث ونتائجها في الكون والحياة . .

فلا نعجب إذن عندما نراه يمشي ببطء أحياناً دون أن يزعج سكينة العالم بقرقعته ، وينتقل خطوة خطوة دون أن يخلف وراءه ثغرات تؤدى إلى خلل بنائه .

وبالاجمال يصـــدر إصلاحه عن عقل واع وتفكير سليم ومناهج هادفة وخطوات متريثة منظمة . اسمعه ماذا يحدثنا في (الريحانيات) .

« إنني ممن يقولون بالطريقة البطيئة ، إنني ممن يرتؤون أن لا خلاص للشعب من الجهل والجمود إلا بالتهذيب والتربيـة وما الثورة عندي سوى أمثولة صغيرة في تهذيب النفس وتثقيف الأخلاق . إن طريقتي أدبية تهذيبية روحية . نعم إنني أدعو الناس لثورة فكرية؛ تذهب بما في الأخلاق والعادات والتقاليد والعقائد من فساد وسخافة عفوية . فضلاً عن الثورة الأدبية قبل السياسية ، والثورة الروحية قبل الاجتماعية » .

الجوانب الاصلاحية التي تناولها

أمين الريحاني كما أسلفنا مصلح اجتماعي كبير وصاحب مخطط مبني على الدراسة وقد أعمل مخططه هذا في اصلاح وطنه الصغير لبنان ووطنه الكبير العالم العربي . وعلى الرغم من النزعة القومية الصادقة التي هيمنت عليه فقد ظل الشعور الانساني رفيقه في جهاده وكفاحه فلم ينسى العـالم الكبير الذي يضم البشرية بأسرها بل التفت اليه يمسح جراحه ويداوي آلامه وقد عبر عن هذا المعنى بقوله :

« لا تنسوا وطنكم في حبكم الانساني ولا تنسوا الانسانية في نزعتكم الوطنية » .

بذلك تجنب الريحـــاني العنف والقسوة وجافاهما في إصلاحه، فقسم منهجه الاصلاحي إلى قسمين فتناول أولاً المشكلات الاجتماعية ثم عرج بعد ذلك على المشكلات السياسية فدرسها وهذا ما سنتناوله في الفصل الثالث.

الفصل الثالث

المشكلات الاجتماعيـــة

رافق الريحاني في مسير الأمة في طريقها نحو النهضة حقبة من الزمن كان خلالها الريحاني الرائد الاول نحو النهوض ومواكبـة عجلة التقدم والسمو نحو الأمثل ، فقد أحب أن يبذل النفيس في سبيل إهـداء أمته وإرشادها الطريق القويم وكان للعصر الذي عاش فيه تأثير كبير دفع به إلى عالم الاصلاح ، فقد رأينا الحياة الاجتماعيـة في عصره تنتابها أمراض عديدة وتشوبها عقد كثيرة تنخر في كيانها من جهل وفقر وتعصب ديني أعمى ـ أعني به غير قويم ولاهادف ـ الى جانب الفساد الخلقي المستشري في أعضاء هذا المجتمع والفاقة في التهذيب وفي التربية والأخلاق .

لذا نجد كتبه وأفاصيصه تزخر بمادة أدبية جميلة تعرض آفات المجتمع وتحصيها وتعددها وتظهرها وتبين أسبابها ومغبتها ، ثم تنعكف آثاره هذه إلى إيجاد الحلول المناسبة لها وتبين طريق الخلاص منها .

ويذكر مارون عبود في كتابه (أمين الريحاني) من هـذه الكتب

قصة « المكاري والكاهن » التي تكاد تكون ثورة تهكميـــة على رجال الدين : ولعلنا نعلل هذه الثورة العارمة في عدم إيمانه برجال دينه وعدم ثقته بهم وبتصرفاتهم .

أما رواياته (زنبقة الغور وخارج الحريم) فهما تعالجان أشياء من صميم الشرق حول مشاكله السياسية والاجتماعية (١) .

ولكن يؤخذ على الريحاني في روايته الاخيرة الآنفة الذكر دعوة المرأة المحجبة إلى الخروج عن تقاليد الحجـاب ودعوتها إلى المشاركة في الأعمال الوطنية . فهذا بالواقع جهل أوتجاهل لأنه يعيش في بيئة أشبه ما تكون بالمحافظة ، وهو يدرك بصفته مفكر ومصلح اجتماعي - كما لقبـة معاصروه - بأن المرأة لا تقوم بدورها الحقيقي الفعـــال في المجتمع إلا بملازمتها بيتها وبالتالي تشارك بدورها شعور الرجل وهي في عقر دارهـا ولا داعي أن تزيد البلة طينـاً وتشارك في إفساد المجتمع وانهيـار أخلاقه وذلك بتبرجها ومغادرتها تدبير شؤون بيتها وتقصيرها عن تربية أطفالها الى مجال الاشتراك في الأعمال الوطنية التي هي في غنى عنها . وما أدري ما كان يقصد كاتبنا في هذه الدعوة غير الطبيعية ، والبعيدة عن عادات مجتمعنا في تقاليدنا وأعرافنا ، ولعله نسي أو تناسى أنه في بلد عربي وليس في بلد من بلدان الولايات الامريكيـة . . وانني الآن لست في موقف الطعن بهذا الاتـان وتجريحه لادراكي بما أضاف إلى تراثنـــا الادبي الحديث ككاتب سار شوطاً في ميدان النثر العربي وإحيائه . ولكنني -

---

(١) على حد تعبير الكاتب عيسى الناعوري في كتابه عن (أدب المهجر).

كعادتي ـ أريد أن أقول كلمة الحق ، أو القريبة من الحق ـ الذي أؤمن به وأتبناه .

والكاتب له أفكار أدبية حية فمن خلال استقرائي لكتيّبه الصغير «أنتم الشعراء» لاحظت حملته العشواء على الشعر الباكي الذي يضعف العزائم ويخلّ بالمواهب ولا يسمو بالمشاعر والاحاسيس إلي عالم الابتكار والبيان والابداع والخيال .

وفي كتابه (التطرف والاصلاح) ثورة عارمة وانتقاضة غاضبة على المشكلات السياسية والاجتماعية التي عاشها هو كفرد ومن أفراد هـذا المجتمع الذي عاصره .

أما (الريحانيات) فهي في أربعة أجزاء ، حوت بين دفتيها مقالات وخطباً تنشد الاصلاح وتحمل على التعصب الديني الذي لا يكاد يؤمن به ـ وترفض الاستبداد وتقاوم الجهل والاغراق فيه . . وبناء على ذلـك نراه يخاطب الحكومة العثمانية ـ في ريحانياته ـ والتي يتم على أيديها اعـلان الدستور آنذاك .

ولي هنا أيضاً تعليق صغير على موقف الكاتب من العثمانيين ولعله كان يظن أنه استعمار كما ينقلون الينا. فالعثمانيون ـ في نظري ـ لم يكونوا مستعمرين بكل ما في هذه الكلمة من معنى وإنما كانوا بحق دعاة سلام . ولعل كاتبنا هذا يدرك أن غايتهم الاولى التفاهم وبخاصة السلطان عبد الحميد ـ ماعدا ثلة الاتحاديين الذين كانوا يمتون بصلة الى اليهودية وأعني بهم جماعة الدونمة أمثال جمال باشا السفاح وغيره ـ فباستثناء هذه الفئة المعروفة في التاريخ

نجد أن جماعة العثمانيين المخلصين للدولة كانوا يهدفون الى اتحاد وسلام ووئام ويرمون من خلال حكمهم إلى صهر الاتراك والعرب في بوتقة الاسلام بصفتهم يمثلون حكماً خلافياً اسلامياً صرفاً ويتخطون القوميات إلى مبادىء الدين السامي الحنيف الذي يجمع شملهم ويوحد كلمتهم ويسير بهم قدماً في مسايرة المركبة الحضارية ويدفعهم إلى عجلة التقدم والاخاء والمساواة .

والريحاني بعد ذلك ـ كما نلاحظ ـ نراه وهو في صدى بحثه الاجتماعي لا يغفل الناحية السياسية والعكس أيضاً، كأنها في رأيه صنوان متلازمان لكل منهما علاقة وطيدة وصلة وثيقة بينهما فكأني بهما مشكلتان متلازمتان في ذهنه لا يكاد يعالج واحدة منهما حتى يتطرق للأخرى بصورة شعورية أو لا شعورية وذلك بحسب الحالة النفسية والشعورية التي تنتاب الكاتب في حالة تناوله القرطاس وإمساكه بالقلم وهذا المنهج الواضح في أسلوب الكاتب وتفكيره نجده أكثر ما يكون وضوحاً وجلاء في ريحانياته . .

فهو حين يحدثنا عن العثمانيين وموقفهم من الدستور، نراه من جهة أخرى يحدثنا عن المدنية العظمى التي يأمل أن تتم في البلاد العربية عقب محو الأمراض والآفات الاجتماعية الفتاكة التي تنخر في كيان هذا المجتمع ، هذا ما حدثنا عنه في مقاله (المدنية العظمى) في الريحانيات نفسها . وأيما إصلاح جذري يتناول صقل المجتمع مثل هذه الاجتهادات الاصلاحية التي بذل فيها الكاتب ثمرة جهوده وطاقاته ؟ لقد أعمل فكره، وكد ذهنه ، وعصر قريحته، واستثمر كل امكانياته ، وأعطى من نفسه وكيانه بحسب استطاعته واستعداداته لدراسة هذا المجتمع من حوله

فرأى نتيجة ما وصل اليه من نواحيه الايجابية التي أجاد فيها ، التهذيب التربوي والتخلص من الكذب والنفاق والجبن واعتبرها في نظره من دعائم المجتمع الصالح ، ومن ركائز الانسان الفعال في هذا المجتمع .

وللريحاني إلى جانب ذلك كله أقوال جمّة وخطب رائعة في الاصلاح الديني، فقد آلمه الخلاف الذي يفصم عرى الصداقة بين المسلمين والمسيحيين وأحسن بعمق بالأضرار التي تنجم عن هذا الانقسام ولم لا ؟ وهو الذي شاهد ببصره اليقظان كل هذا ورأى إلى جانب ذلك رجال الدين يستغلون سذاجة الشعب وتسلطهم على عقول العامة بخرافاتهم، ولا ريب أن إحساس هذا الانسان المرهف جعله يلتقط هذه المفارقات كلها مما دفع به إلى الشعور بهذا التنافر الذي لا تحمد عقباه يسود هذا المجتمع ويعم أطرافه .

وما كاد كاتبنا يفصح عن هذه الآراء التي آمن بها وتنبه لها ودعا إلى معرفتها حتى رشقه رجال الدين بسهامهم ونالوا منه بألسنتهم كل منـــال وهذا الصدى الذي لقيه يعتبر أمراً طبيعياً لاغبار عليه ، وهـــو نتيجة طبيعية لكل من أراد أن يفصح برأيه بين الآخرين دونما هيبة أو تردد ، ولعله حسب لذلك حسابه ورسم طريق العودة، لذا نراه لا يعبأ بذلك ولا يصدم بمعاكسات الآخرين وإنما على العكس ـ كما لاحظنا ـ ذلك أنـه إنسان عقيدي ملتزم آمن بنفسه وبآرائه واعتمد ما يقول وطبعه في زوايا نفسه ثم أشاعه في أوساط المجتمع غير هياب ولا وجل ولذا نرى أن عزمه لم يفتر وثورته لم تهدأ بل تابع معركته ضدهم وفضح دسائسهم ومن أجل هذا ـ كما أرى ـ ألف كتابه (المكاري والراهن) الذي سبق لنا وتحدثنا عنه . ولئن اشتد رجال الدين في الحمله عليـه فقد لقي كثيراً من الحفاوة

والتكريم حيثما حل في العراق ،ومصر والمغرب الأقصى وفلسطين وسائر أنحاء الجزيرة العربية وقد أقيمت له الحفلات العديدة في كل مكان تكريماً لأدبه وسعيه المخلص في ميدان الاصلاح وفي مجال التوجيه في النطاق الاجتماعي والسياسي .

. . والواقع أن الريحاني لم يُهاجم من قبل رجال الدين فحسب بل حمل عليه رجال الأقطاع حملة واسعة وذلك أنه دعا إلى محو الاقطاعية والأخذ بيد الفلاح المسكين وبث روح المساواة في البلاد . وإن حَمَلَ أصحاب المصالح على الريحاني فان هذه الحملات لم تؤثر عليه بقليل أو كثير ولم تفت من عضده ولم تغيّر من عزيمته بل استمر في معركته وثبت في نشر آرائه حتى قبضت علية يد المنون وكان شعاره المعروف: (قل كلمتك وامش) أي أنه لم يعبأ بالآخرين ولم يكترث بشأنهم،ولم يعر بالاً لألسنتهم الحداد ، ومواقفهم السلبية نحوه ، بل تابع طريقه جاهداً في سبيل مبادئه التي اقتبسها من الحياة يرمي كلمته ثم يتابع سيره في الطريق الذي اختطه لنفسه ونهجه مدى حياته في ذلك المجتمع الذي كان يعايشه .

الفصل الرابع

المشكلات السياسية

من الغريب أن ينزح الريحاني إلى أمريكا وهو بعد لا يعرف عن عربه من حوله شيئاً ، ومن المدهش أيضاً أن نراه يعود إلى بلاده مترعاً بالروح القومية متعطشاً للاستزادة من أخبـــار العرب . تلتمع في رأسه الافكار وتجيش في قلبه الاحاسيس ويطفو على هذه المشاعر جميعاً حبـه لامته ولوطنه . . لقد اطلع على سيرة الرسول ﷺ من خـلال كتاب الفيلسوف كارليل (صرح بذلك في مقدمة كتابه ملوك العرب) فأحب هذا النبي العظيم وأحب هذه الامة وأخلص لها من خلال ذلك وهو في هذه المرحلة نراه يعيش في ظمأ يريد أن يطفئه بالمزيد من أخبارها . .

وقد سنحت له العودة أن يطلع على أخبارهـا في كتب التاريخ وأن يعيش واقعها التي تتخبط به وعندما تمثل له الماضي الزاهر بأبـدع صوره وارتسم له الحاضر التعس أمام صور الامم الغربية الـتي أخذت بالرقي والحضارة فانتابه الاحساس بأن الوقت قد حان لـكي يرجع أمجاد بـلاده الزاهرة وأن يسخر قلمه الذي طالما عاش من أجله ـ وذلك لخدمة بني

وطنه وانعاشهم وإن الصوت الذي رفعه ليدافع به عن قضايا الشرق قد آن له أن يشق فضاء البلاد العربية ويجلجل في أنحائها ، داعياً للوحدة العربية الكبرى الوحدة الخالصة التي تقوي شكيمة العرب وترفع من شأنهم وتصهرهم في بوتقة واحدة وكانت الوحدة في نظره تلك التي تقوم على أسس القومية . لا على أساس الدين وهذا في نظري من جملة المآخذ عليه . . . وللريحاني هناك وجهة نظر أصاب فيها بعض الشيء حينما قال بأنه لكي تنشأ وحدة تثبت للتيارات المتباينة التي يعيش فيها كل قطر من أقطارهم عليهم أيضاً أن يعملوا على التقارب فيما بينهم ، ووفق هذا المخطط سار الريحاني إلى البلاد العربية ليفهم أحوالها وليحاط علماً بالظروف التي تعيش بها والمشكلات التي تتخبّط فيها وليتبين العوائق التي تحول دون قيام الوحدة . وأخيراً حاول النفاذ إلى صميم النفوس التي تدير كفة السياسة في الاقاليم العربية وبذلك يتاح له أن يقيم شيئاً من التفاهم بينهم . لكن المنية عاجلته، ولم ينهي جولته هذه فقد اقتصر على الجزيرة العربية والعراق وقد أثمرت هذه الرحلات كتباً تعد ذخيرة أدبية كبيرة وتضم .

- ملوك العرب .
- تاريخ نجد الحديث .
- المغرب الاقصى .
- قلب العراق .

وتظهر هذه المؤلفات أعمال الريحاني وأهدافه وقد سبق لنا أن ذكرنا قسماً منها ، ولا بأس الآن أن نبين الطرق الفنية التي صبّ فيها أفكاره .

لقد صب الريحاني أفكاره المتمرده في ثنايا كتبه ومؤلفاتـه مستعيناً باللغة العربية الخيّرة التي أتقنها عقب عودته إلى لبنان والتي أمدته بما يريد للتعبير عن أفكاره وللافصاح عن أحاسيسه ومشاعره ، مما حدا به إلى التبحر في هذه اللغة الكريمة وآثارها الاصيلة التي تشحن في ثناياها تاريخ الامة العربية وتحمل في تراكيبها أجمل العظات التي قدمها العرب للدهر، كما أنه شعر في الوقت نفسه بالحاجة الملحة التي تعتمل في زوايا نفسه بأن الوقت قد حان ليقذف ثورته ضمن لغته بتراكيب صحيحة وأساليب جميلة وعبارات مؤثره في وجدان أمته لتحمل الافراد على النهوض من رقدتهم والانتفاض من كبوتهم التى طال أمدها وكان له ما أراد ؛ فقد أسلست له اللغة قيادها فما كان له إلا أن أمسك القلم وراح ينفث شواظ لهيبه في مقالات وقصص وكذلك بالنثر الشعري الذي نسميه اليوم بالشعر المنثور .

أما القصص فلم تخضع له بحسب الاصول الفنية المعروفة في موازين النقد في أدبنا العربي المعاصر لكنها أتسمت بالطابع التعليمي ، طابع الوعظ والارشاد والتوجيه وهذا ما تبين لنا من خلال قصتيه (خارج الحريم ورنبقة الفور) اللتان أسلفنا ذكرهما وسبق لنا الحديث عنهما .

وجدير بالذكر أنه بلغ ذروة الروعة الفنية في (ملوك العرب وقلب لبنان والمغرب الاقصى) (١) .

أما في اسلوب الخطابة فقد أصاب نجاحاً كبيراً فيها وذلك نظراً لما يلتهب في صدره من حماسة وقوة وذلك دعاه أن يقدم لنا خطباً كثيرة ،

---

(١) كتاب محمد علي موسى في (أمين الريحاني)

وقد حوت (الريحانيات) نتفاً طريفة من هذا الفن الادبي الخالص . أما « المقالة » فبامكاننا أن نعتبر الريحاني من المجيدين فيها أقصى حدود الاجادة الفنية ويمكننا أن نعتبره قد بزّ غيره بهذا الفن .

ولقد كانت مقالاته عالماً رحباً أثر بالناس وبالاحداث إلى جانب كونها وثيقة الصلة بالحياتين : السياسية والاجتماعية ، نرى في سطور مقالاته العالم والتاجر ورجل الدين ورجل الدنيا وتجد ذكراً للمرأة وحتى للطفل ، مشوبة في أغلب الاحيان بذكر الطبيعة التي عهدناها ممتزجة بروح الشاعر نفسه وهو لا يفتأ بعد ذلك ان يضم في جوانبها الشعور الوطني والشعور الانساني. وبالاجمال نجد أن الريحاني قد عبر عن هذه الحوادث تعبيراً جميلاً ينفذ إلى أعماق النفس البشرية ، ويؤثر فيها تأثيراً عميقاً تبناه الشاعر وقصد إليه قواً ، ورمى إليه مباشرة وهو يحرر مقالاته المتنوعة هذه لتؤتي أكلها مثمرة يانعة وتفعل في جوانب النفس ما كان يريده لها ويبتغيه منها .

وهو بعد ذلك كان حساساً يتأثر بأدق المظاهر الطبيعية والحياة البشرية فتراه يفجر كالبركان (١) .

أما لماذا استجابت الخطابة ـ بشكل خاص للريحاني دون غيرها من الاساليب الادبية الاخرى فذلك راجع لكون الرجل مصلحاً اجتماعياً يبتغي التوجيه والارشاد قبل كل شيء لذلك رأى في هذا الفن (الخطابي) مطية ذلولاً تتسع لنفثاته وتناسب مبتغاه وتناغم طبيعته .

---

(١) على حد تعبير مارون عبود في حديثه عن الريحاني .

أما في الشعر فقد قدّم لنا قصائد تحوي معاني إنسانية وتضم أفكاراً ثورية (٢) ولا داعي الآن أن نستشهد بشيء من شعره لانه انتاج ضئيل ومجاله فيه قاصر إذا ما قسناه إلى الفنون الاخرى التي أجاد بها وأسلفنا الحديث عنها .

وفي هذا المضمار يجدر بنا أن نذكر أن الريحاني كان في مقدمة المجددين الثائرين على قيود الوزن والقافيه ومستنكريها لانها يقيّدان الشاعر. وهو بحسب نفسيته ومزاجه اللذين عرفناهما يريد الانعتاق وذلك ليتسنى له أن يدرك أسرار الكون وعوالمه الرحبة ثم يصور هذه الانعكاسات وصداها على ضميره وأثرها في وجدانه .

وإنني أرى أن نسميّ هذا الذي يدعى بالشعر المنثور بالنثر الشعري ليس إلا. فان بعضهم قد ثارت ثائرته من هذا التجديد فسماه بالنثر المشعور.

هذه المعارك النقدية ، لا نزال نحياها منذ فجر النهضة الحديثة وحتى وقتنا الحاضر .

ولذا يمكننا القول بالنسبة للريحاني إنه لم يكن شاعراً كبيراً بقدر ما كان مفكراً عظيماً وفي نظري أن شخصاً كالريحاني لم يخلق ليكون شاعراً لان العقل عنده يحد من حدة الانفعال ويغلب تفكيره على عاطفته وشعوره فكان تيار العقل البارد يبطىء سيل العاطفة المتدفقة لديه، لذلك

---

(٢) مما دعاه إلى الانفلات من قيود الوزن القافيه محتذيا طريقة الشعراء الامريكيين الذين قرأ نتاجهم حينما كان في تلك البلاد في ريعان شبابه .

جاءت أبياته الشعريه التي نظمها أشبه بالنثر منها بالشعر وهذا ـ كما أرى ـ لا ينال من منزلة الريحاني الادبية ولا ينقص من قيمته الفنية فسواء أأجاد الشعر أم لا فمنزلته تتجلى في عقله الراسخ وتفكيره الناضج الذي أخصب أدبنا العربي الحديث وتراثنا الفكري المعاصر بأطيب الاكل وأينع الثمرات (١) .

وبهذا نأتي على نهاية هذه العجالة السريعة التي قصدنا بها إبراز أمين الريحاني كمصلح ساهم في ميدان الاصلاح بكل جوانبه واختصرنا الجوانب الاخرى التي لا تعنينا في هذه الناحية البارزة التي تحدثنا عنها في هذا الاديب المفكر .

---

(١) انظر في الفصل الخامس من هذا الكتاب . نقد ميخائيل نعيمة لشعر الريحاني .

الفصل الخامس

تعقيب

آراء بعض الكتاب والادباء المحدثين من الذين عاصروا الريحـــاني وتحدثوا عنه

دونكم شذرات ذكرها جورج صيدح في كتابه (أدبنا وأدباؤنا) في المهاجر الأمريكية : يقول الريحاني معرفاً بنفسه : (أنا سوري أولاً ولبناني ثانياً وماروني بعد ذلك . أناسوري أنشد الوحدة السورية القومية الجغرافية السياسية ، أنا سوري مسقط رأسي لبنان ، أحترم مصدر لغتي العربية وأتوكل في ديني على الله وحده) هذا بعض ما كتبه عن نفسه في كتاب (القوميـات) . يسمى فيلسوف الفريكة ويعتبر من رواد الأدب المهجري وصاحب المدرسة الاستقلالية الأولى في الأدب العربي . . ونشر كتابه الأول « تاريخ الثورة الفرنسية » والثاني « المحالفة الثلاثية » قبل نشر جبران لبواكير أدبه بأعوام ثم كتب بعدها : « المكاري والـكاهن» وقصته « زنبقة الغور » و « خارج الحريم » وقسماً من « الريحانيات »

ولكن أنتاجه المهجري وقف عند هذا الحد . كل ما كتبه بعد ذلك كان إما باللغة الانكليزية أو باللغـــة العربية خارج المهجر . . . وكان المهجر حافزاً له لتأليف هذه المؤلفات وتعميمها ونشرها .

ومن مؤلفاته أيضاً (هتاف الأودية ، بذور للزارعين ، فيصـــل الأول ، أدب وفن ، وجوه شرقية غربية ، التطرف والاصلاح) ولا نستطيع الجزم أين كتب هذه المؤلفات ـ أعني في أي بلد كتبها ـ هـذا باستثناء المحـــاضرات والمؤلفات التي تملأ المجلدات والصحف . ويقول (جورج صيدح) :

« فاذا قابلنا هذا النتاج الضخم بالكتب التي سميناها وجدنا أن نصيب المهجر من أدبه كان ضئيلاً لا يجوز لنا اعتباره أديباً مهجرياً أما إذا نظرنا إلى نوع نتاجه المهجري لا إلى كميته ، وعدنا إلى أصول هذه الدوحة الباسقة التي مدت ظلالها على الغرب والشرق وجدنا أن بذارها وتربتها وغذاءها كانت من المهجر ـ ومن نيويورك على وجه التخصيص فلا يسعنا إغفال هذا الاسم الكبير حين ننسب الأدب المهجري إلى أربابه »[1] .

. . حين كان في أمريكا عكف على دراسة الآداب الأجنبية مما جعل عربيته تضعف ردحاً من الزمن فأرسله والده إلى لبنان عام ١٨٩٧ فمكث في بيروت فترة انصرف إلى تحصيل اللغة العربية .

يقول جورج صيدح [2] :

---

(١) أدباؤنا في المهاجر الاميركية ص ٢٣٣ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٤ .

هذا الانتقال إلى الوطن العربي بعد إقامة عشر سنوات في نيويورك ترك في نفسه تأثيرات متباينة تفاعلت في ذاتيته وكانلها انعكاسات خطيرة في تكوين شخصيته وإعداد إنتـــاجه الأدبي ، لقد أيقن أن الانحطاط الاجتماعي السائد في لبنان عائد إلى الجهـل وإلى التعصب الطائفي فآلى على نفسه محاربة الآفتين .

وأتيحت له فرصة الخطابة في نيويورك عام (١٨٩٨) فألقى قنبلته الأولى على رجال الدين ـ كما نعلم ـ وفي الأعوام الخمسة التالية تابع حملته على التعصب الطائفي في كتبه الثلاثةالتي أصدرها . وتوالت أسفارهواتسعت مجالات نشاطه فقام برحلات بحرية وما تبدل منهجه ولا فترت همتـه ولا خارت عزيمته شاء أن يكون همزة الوصل بين الشرق والغرب ينقل إلى إلى الغربيين روحانية الشرق وإلى الشرقيين تقدمية الغرب .

والحق نجد في أدب الريحـاني واقعية مزيدة تبرز في كل دعوة يبشر بها وكل وسيلة يختارها لاصلاح المجتمع العربي وتحقيق أمانيه .

في سلوكه وتفكيره ابتعد عن أسلوب جبران ونعيمه إذ كان لا يبشر بلسانه ما لا يفرضه على نفسه عمليـاً وحرمته كذلك رضى الشعراء عنه لأنه كان يحاسبهم حساباً عسيراً على هدر مواهبهم فيما لا ينفع أمتهم (أنتم في المهجر تطلقون مدافعكم في الهواء ، عودوا إلى الوطن إن كنتم حقاً تحبون الوطن وجاهدوا مع المجاهدين وجوعوا مع الجائعين وإدخلوا السجونمع المتمردين .هنا يا أخي في ساحة العمل لا في نيويورك ولا سان باولو).

هذا ما يذكره صيدح ثم يردف قائلاً :

إلى هنا تنتهي المرحلة الأولى ـ المرحلة المهجرية ـ من سير أمين الريحاني لتبدأ مراحل حياته الكبرى تآليف ورحلات جعلت من الكاتب المهجري الناشىء زعيم الفكر الموجه وقائد حركة الاصلاح ورسول الأدب الحديث في العالم العربي كما جعلته في أعلى منزلة من الاعتبار في الأوساط الأمريكية لا يطاوله فيها ادباء العرب غير جبران .

لم يبدع الانشاء في كتبه المهجرية قدر ماأبدعه في الكتب التي تلتها وعلى الأخص في (الريحانيات وملوك العرب والشعر المنثور) ولكن فضله الذي لا ينسى فيها أنه أول من هز العصا في وجه الجامدين المتزمتين في الأدب العربي فعبّد الطريق لمن جاء بعده وهو أول من أيقظ الوعي في جوالي المغتربين وفتح عيونهم على آفات المجتمع وسبل الاصلاح....وهو إن فاته التوفيق في الانشاء أحياناً لم يفته التوفيق في التأثير أبداً وكان الريحاني ميزة على معاصريه من أدباء المهجر في الخطابة فقد امتاز هذا الانسان بالنبرة الصوتية الأخاذة معتمداً على الصراحة والجرأة .

وعندما برزت مشكلة فلسطين بذل جهوداً صادقة للدفاع عن حقوق العرب في مناظرات دارت بينه وبين أقطاب اليهود في نيويورك .

وهو الذي اقترح على الحكومة الأمريكية إنشاء وطن قومي لليهود في ولاية تكساس الواسعة الأطراف إن كان لا بد من وطن قومي لهم.

فهو من هذه الناحية يلتقي مع الشاعر القروي مع الفارق أنه صبور جلد لا يبكي ولا يتباكى في أدبه ولا يسب الأيام ولا يتبرم الحياة رغم الألم الذي لازمه في يده المشلولة .

من أقواله المأثورة : أريد أن أرى في بلاد العرب ثمار الأنبياء وثمار العلماء على شجرة واحدة . وفي كلامه عن نفسه (أريد أن أرتفع دون أن أدوس من هم دوني أو أحسد من هم فوقي) هذا الكلام إن دل على شيء فانما يدل على أخلاق الريحاني مما جعل سيرته تعرف وتشتهر حتى إلى أبعد الأقطار فتوثقت صلاته مع العلماء المستشرقين فقد تحدّث عنه المستشرق الروسي كراتشوفسكي فقال (١) .

(إنه قائد المستقبل لمدرسة المهجر في الأدب الحديث) .

ولما أقلع الريحاني عن الأسفار ولزم بيت العائلة في الفريكة أصبح منزله محجة لقادة الفكر وأعلام الأدب في الشرق والغرب وارتبط وادي الفريكه باسم أمين الريحاني إلى الأبد .

ثم يذكر لنا صيدح حياته العاطفية فيقول : إن المعلومات عنها قليلة غامضة يقول إنه تزوج من أميركيـــة لم تنسجم مع أسلوبه في الحياة فطلقها ولم يتزوج بعد ذلك . ويقال إنه أحب فتـاة غيرها تبادل معها رسائل الغرام بالانكليزية . ويقال إنه أحب (ميّ) ونستبعد ذلك لأن (مي) كانت مشغولة عنه بحب جبران وهذا هو الظن .

والريحاني : هذه الشعلة الوطنية المتفجرة التي أنارت للعرب طريق الحرية والاستقلال والسيادة انطفأت بحادث تافه هو سقوطه عن الدراجة في طريق صخري عام (١٩٤٠) ولكن شعاعها الوهـــاج باق أبداً « قال كلمته ومشى » .

---

(١) عام ١٩١٠ في بيروت

يقول ميخائيل نعيمة في الغربال [1] بعنوان الريحاني في عالم الشعر يقول :

« لأمين الريحاني قلم ولوع بالاستكشاف والتنقل لا ينزل بقعة من مرج الأدب حتى ينزح عنها طالباً سواها فقد عرفناه بادىء ذي بدء بمقالاته بين اجتماعية وسياسية وأدبية ثم بروایاته بين تمثيلية وغير تمثيلية ثم بأقاصيصه الصغيرة وكذلك ببعض شعره المنثور . واليوم نراه في عالم الشعر المنظوم إنما الشعر الانكليزي لا العربي فقد أتحفنا . بمجموعة من نظمه بالانكليزيه دعاها (أنشودة الصوفيين) ثم يقول : [2] (لقد ساءلت نفسي بعد أن طالعت مجموعة الريحاني الجديدة ما إذا كان الريحاني شاعراً أجود منه ناثراً في أي أساليب التعبير قد أظهر الريحاني ما فيه ؟ فعدت في ذاكرتي إلى (الريحانيات) فالى (كتاب خالد) فالى (زنبقة الغور) فالى (خارج الحريم) فالى (تحدر الباشفية) وأخيراً إلى (اللزوميات) ثم إلى(الأنشودة الصوفية) وقابلت بين رواياته ومقالاته وأشعاره فوجدته في المقالة أبلغ منه في الرواية والشعر . وذاك لأن فكره راجح على عاطفته ومنطقه متغلب على خياله وكيف يكون الشعر بدون عاطفة وخيال ؟

إن جوهر الريحاني يتجلى في (ريحانياته) لا لأفكار فيها سامية مبتكرة فليس منها أفكار مبتكرة . فقد كتبها قبل أن ينضج فكره وتتبلور آراؤه ولا لغزارة مادتها فمادتها ليست غزيرة ، بل لأنها تنمّ عن فكر يميل إلى البحث والتنقيب وتعليل الأمور وتحليلها من مركبها إلى

---

(١) صفحة ١٦٣

(٢) نعيمة في غربال . المقال نفسه

أجزائها البسيطة ثم إلى ضم تلك الأجزاء بعضها إلى بعض بسهولة دون تكلف ناهيك بأن أسلوب مقالاته في أكثر الأحيان سهل المأخذ جميل المبنى أما في الرواية التي تحتاج عدا الفكر المعلل والمحلل إلى يد المتفنن لابراز أشخاصها إلى الحياة ولتطبيق مشاهدها على فكرتها الأساسية فباع الريحاني لا تزال قصيرة وأقصر منها باعه في الشعر حيث لا يكفي التعليل والتحليل بل لا بد من العاطفة والخيال والرنة الشعرية التي تجعل من الشعر والموسيقى توأمين. ومن القصائد التي وددت لو ينظمها الريحاني بالعربية قصيدة (الأندلس) فقد ذكرتني مطالعتها بدرة (شوقي) وعن غير قصد مني وجدتني أقابل في فكري بين تلك وهذه. فما أعظم الفرق بين الاثنتين. لقد حاول شوقي أن يصف الأندلس ومجدها البائد فجاء وصفه كلمات مرصوصة وقوافي فوق قوافٍ ودموعاً تلو دموع ومبالغة بعد مبالغة ونظم الريحاني فجاء نظمه جميلاً ولا مبالغة، ولا مؤثراً ولا دموع ولا محزناً ولا زفرات والأهم من ذلك أن القارىء يعرف منه شيئاً عن عظمة الأندلس ويأسف معه على زوال عزها أما من (درّة) شوقي فلا.

الفصل السادس

نماذج فنية من انتاجه الأدبي

النموذج الأول

« نص مدروس »

قال في وادي الفريكة [1] أو العود إلى الطبيعة ووادي الفريكة وادي في لبنان مسقط رأس الريحاني وهذه المقطوعة التي سنسوقها الآن تمثل الريحاني وهو يطوف في الوادي الذي نشأ فيه ومات فيه ونلاحظ كيف يستوحي من الطبيعة المعاني النفسية وسنرى أنه إبداعي النزعة في وصفه للطبيعة كما نراه يقف من الطبيعة في الخارج وقفة المصور المبدع [2] فنراه ينقلها إلى أذهاننا نقلاً موضوعياً أميناً وهو لم يعن بوصف الطبيعة على أنها

---

(١) لقد سمى السوريون في صحفهم (الريحاني) باسم فيلسوف الفريكة نسبة الاتجاه إلى مسقط رأسه .

(٢) انظر ماذكره (نجيب مطر) في كتابه التراجم والنقد ص (٨٦) في بحث الاتجاه الوجداني والتأملي .

جمال ومادة للتصوير حية والتعبير والتشخيص بل لأنها مبعث من بواعث سلواه ومنزع من منازع إلهامه وإبداعه وفي هذه النزعة الابداعية يتواءم واتجاه المدرسة المهجرية وبخاصة جبران وأبو ماضي .

دونك الريحاني يصف هذا الوادي يقول :

١ ـ وادي الفريكة مهيب وجميل : غير أن هيبته أكثر من جماله وهو عميق ملتوٍ ينحدر من قرية صغيرة ليغسل رجليه في نهر الكلب وهو صغير ولكنه كثير الزوايا والأسرار يجمع بين الدُلب الذي لا يعيش إلا بالقرب من الماء ، والصنوبر الذي يكتفي بمشاهدة البحر من أعالي الجبال .

٢ ـ في هذا الوادي من الصخور الشامخة والمنحدرات المخوفة والوهاد العميقة والكهوف المظلمة ما لا يرغب الناس في الانحدار إليه فهو يقول للفلاح تعال وفأسك ومنجلك ويقول المحبّ الطبيعة تعال بأفكارك وتصوراتك كما تقول الرياض لمحب السرور : تعال بالعود والدّن (١) .

٣ ـ في صباح يوم الأيام التي تقف حائرة بين الخريف والشتاء لبيت دعوة الوادي . . وأخذت أقفز عن الربا ، وأدّب من تحت الصخور حتى وصلت إلى قلب الغاب نزلت لأتفقد الوادي بعد أن اغتسل بسحابة الخريف الأولى . هبطت على عادتي . لا ترويحاً عن النفس كما يقال بل ابتغاء الالهام والفائدة ، نعم أنا أقصد الوادي كما يقصده الفلاح ، ولكن فأسي ومنجلي يختلفان عن فأسه ومنجله وأحمالنا ونحن عائدان ـ تختلف كثيراً بعضها

---

(١) الدن : إناء الخمر .

عن بعض : على أن حطب الغاب يفيد في هذه الأيام أكثر من حطب الخيال والفلاح هو الفيلسوف الحقيقي ولكن ذلك قلما يهمني .

٤ ـ قد انحدرت إلى الوادي ووقفت على صخر يشرف على النهر وتأملت فعل العواصف والأنواء الليلة البارحة ؟ وقفت هنالك مبتهجاً فأحسست بأن روحي انفصلت عن جسمي وطارت فوق الأشجار البليلة (١) وفوق الصخور الشهباء في الصيف (٢) السوداء بعد الأمطار طارت وطار معها ما تراكم على رأسي وقلبي من الأفكار والخيالات والأماني طارت بسرعة صامته كما يطير السنونو والحسوّن في الفصل ، شعرت بأن روح الوادي قد اتحدّت فيّ ، وروحي قد اتحدت بالوادي فأنا إذاً والوادي سواء في نفسي ما فيه من الصخور الشامخة والمنحدرات الهائلة والسواقي الفياضة والأنهار الجارية في نفسي ما فيه من العصافير والجنادب والنسور ومن الهوام (٣) والذئاب أيضاً أيها القارىء البعيد القريب .

٥ ـ صعدت قليلاً وجلست تحت خرنوبة غضّة وتنفست متنشقاً هواء الأحراج المنعش فكاد يكون لنفسي صدى في حفيف الأوراق في ظل هذه السكينة يكاد المرء يسمع خفقان قلبه وعند توقلّي (٤) في الصخر

---

(١) البليلة : الندية .

(٢) الشهباء : ما خالط بياضها بعض السواد .

(٣) الهوام : ج هام . كل مادب خشاش الارض كالعقرب والحية وغيرها من الحشرات .

(٤) توقل في الجبل ووقل بمعنى صعد .

سمعت صوت رفرفة العصافير فالتفت إلى جهة الصوت وإذا أنا بسرب كبير من السنونو فرّ من أمامي ففكرت في نفسي قائلاً : لو كان للطير أن يقرأ الأفكار لما كان هذا السرب يفرّ الآن من وجهي بل كان يجيئني مفرداً، فأقبله ويقبلني ويسير بعدئذٍ كل منا في سبيله ولكن إخواني البشر لم يعودوا الطير مثل هذا والسنونو لم يقرأ شيئاً حتى اليوم مما أكتبه إلى الآن لا يعرفني وهل يلام على ذلك والانسان نفسه لم يزل يعجز عن فهم ما انطوى عليه الانسان .

جولة خاطفة في بلاغة النص و معانيه

الفقرة الاولى منه :

نلاحظ معاً قوله : (ينحدر من قرية صغيرة ليغسل رجليه في نهر الكلب) هذا تعبير جميل وطريف يريد به أنه يبدأ بهذه القرية وينتهي عند نهر الكلب أضف إلى ذلك ما به من بدائع بلاغية وروائع تعبيرية ، فهذه العبارة على صغرها ذات مدلول كبير فانه يجول في ثناياها خيال لطيف ولطيف جداً فهو يشبه به الوادي برجل مضطجع قمة رأسه عند القرية الصغيرة ورجلاه قد تدلّت قدماها في نهر الكلب وذلك بطريق الاستعارة المكنية التي تعتبر من أوجه البيان الجميلة ومن أضرب البلاغة الحية (١) .

---

(١) راجع الاستعارة المكنية وبلاغتها في كتاب جواهر البلاغة للهاشمي .

وإذا تركنا هذه العبارة جانباً ورحنا نستقرىء عبائر أخرى إذ نجد هذه العبارة الحلوة تستوقفنا وتجعلنا نعيش في عالم التشخيص وتحلقنا في أجواء الخيال يقول في الوادي « ولكنه كثير الزوايا والاسرار » لو حللنا هذه الجملة لوجدنا فيها نوعاً من التشخيص بالاستعارة جعـــل للوادي أسراراً كالانسان والصنوبر الذي يكتفي بمشاهدة البحر : في هذا الكلام أيضاً تشخيص للصنوبر باستعارة صفة المشاهدة من الانسان له .

ب ـ الفقرة الثانية :

ليس في هـذه الفقرة ما يثير حسنا وشعورنا ويستوقفنا سوى قوله للفلاح : «تعال وفأسك ومنجلك» فهو هنا ـ لسعة خياله وآفاقه الفكرية وقواه العاطفية ـ نراه يشخص لنا هذا الوادي الذي يصفه ويجعل له لساناً يتكلم به هو لسان الحال .

جـ ـ الفقرة الثالثة :

بعد أن اغتسل بسحابة الخريف الأولى : بعد أن هطلت عليه أول مرة لا ترويحاً للنفس لا تنشيطاً لها وتنفيساً عنها ولكن فأسي ومنجلي يختلفان عن فأسه ومنجله أي أن عملي يختلف عن عمـله والكاتب يشبه عمله الفكري وتذوقه لجمال الطبيعة وفنه الكتابي بعمل الفلاح بالفأس والمنجل والفلاح هو الفيلسوف الحقيقي : يشيد الريحاني بعمل الفلاح لأن عمـــله منتج مفيد لاخوانه بني الانسان ولأنه قد ورث عن آبائه وأجداده حكمة الأجيال .

لو رحنا نجول في مواطن البلاغة والخيال في هذه الفقرة لرأينا هناك عبارات ثرة في أفكارها ، غنية في أخيلتها قوية في معانيها جميلة في تفننها وإبداعها . . تعال معي نلتقط بعضاً من هذه الصور البيانية الخلاقة ونحلل مدى تأثيرها في زايا نفوسنا ونرى كيف تعتمل في قلوبنا وتفعل في أفكارنا وخواطرنا وإحساسنا .

أنظره في هذه العبارة « في صباح يوم من الآيام التي تقف حائرة » تجد في وقوف الأيام حائرة نوعاً من الاستعارة ، وهي الاستعارة المكنية التي يكثر من إيرادها في تراكيبه وتعابيره يريد بها أنها وسط بين أيام الخريف وأيام الشتاء .

ولنتابع جولتنا في هذه الفقرة ولننظر ملياً في تعابيرها ناقدين محللين مستنبطين ولنقف الآن عند عبارته « إلى قلب الغاب » فهي لا تخرج عن نطاق الاستعارة ولكنها هنا تصريحية التي صرح بها بالمشبه به على حين الاستعارة المكنية يحذف فيها المشبه ويتبقى شيء من لوازمه دال عليه(١)

ولننتقل معاً إلى قوله : « لأتفقد الوادي بعد أن اغتسل بسحابة الخريف الأولى » نجد في هذا الكلام استعارة أخرى وهي هنا مكنية والتي اعتدنا أن نعثر على كثير من أمثلتها في هذا النص من خلال استقرائنا له ـ وهذه الصورة البيانية من الاستعارة المكنية تشخص الوادي وتجعله يغتسل كالانسان . . . فأجمل بها من صورة بلاغية حية ، وأحسن

---

(١) سبق أن مر معنا هذا النوع من الاستعارة المكنية وطرافة استعمالها وسيمر معنا أمثلة أخرى من هذا النوع أيضاً .

بها من تشبيه طريف مستساغ وبيان أخاذ يكاد يستأثر بمشاعرنا ويفعل في نفوسنا وذلك بمذاقه الفني وتشبيهه المجيد حيث يقودنا إلى التحليق في آفاق الخيال وطرائف البيان . ولنتمعن قوله في الفقرة ذاتها : « ولكن فأسي ومنجلي يختلفان عن فأسه ومنجله » تجد أن الكاتب هنا قد استعار كلمتي فأس ومنجل الأوليين مكان واسطتي عمله وهما الفكر والقلم ليدل في الجملة على أن عمله يختلف عن عمل الفلاح .

وكذلك قوله (وأحمالنا) وقوله (حطب الخيال) أي نتاجه من شعر ونثر وهذه الاستعارات كلها تصريحية .

د ـ **الفقرة الرابعة** : « في نفسي ما فيه من العصافير والجنادب والنسور ومن الهوام والذئاب أيضاً » يرمز الكاتب هنا إلى ما في النفس الانسانية من ميل إلى السرور البريء وإلى التسلط على مال غيره والفتك بالضعفاء وإلى التطفل على أعمال المجدين الكادحين وانتهاب حقوقهم وبصورة مختصرة هو يرمز إلى ما في النفس من قوى الخير والشر « أيها القارىء الغريب البعيد » الغريب لأن إنسان مثلي يشبهني بنزعاته البعيدة لأنه ليس من أبناء عمومتي وأقاربي ولأنه قد لا يحس إحساسي .

وإذا فحصنا هذه الفقرة أسعفتنا ببعض الصور الجمالية وبعض المشاهد البلاغية إذ تستوقفنا هذه الاستعارة التصريحية ، المتمثلة في قوله : وطارت (أي نفسه) فوق الأشجار البليلة،يريد أن يقول وكأني أحسست بأنها انفصلت عني وغادرتني إلى غير رجعة تجوب في عالم البهجة واللطائف مرفرفة فوق الأشجار الباسقة الندية . والأدواح الظليلة النضرة.ولننظر أيضاً قوله : (وطار معها ما تراكم على رأسي وقلبي من

الأفكار) نجد أن في هذا الكلام استعارة في طار بمعنى ذهب وفي تراكم بمعنى اجتمع .

« طارت مسرعة صامتة كما يطير السنونو والحسون » تشبيه تام الأركان ووجه الشبه فيه قوله : مسرعة صامتة .

« شعرت بأن روح الوادي قد اتحدت فيّ » تشخيص للوادي صار له به روح بطريق الاستعاره المكنية . « في نفسي ما فيه من الظلال والخيالات والكهوف » شبه الكاتب هنا نفسه بالوادي فيها ما فيه واستعار أيضاً لما في نفسه ما فى الوادي من طلال وخيالات وكهوف .

ونلاحظ الآن في خلال تطوافنا الأخير من بلاغة هذا المقطع واستقرائنا لأوجه البيان فيه ـ أن سائر المقطع كله تقريباً استعارات متتابعة رمز بها الشاعر بما في النفس من الأهواء المختلفة والنزعات المتباينة.

هـ الفقرة الخامسة : « والسنونو لم يقرأ حتى الآن شيئاً مما أكتبه » في هذا الكلام خيال لطيف بتشبيه السنونو بالانسان يقرأ ما يكتبه . . . ولو ألقينا نظرة فاحصة على العبارة الأخيرة من النص « والانسان نفسه لم يزل يعجز عن فهم ما انطوى عليه الانسان » . . . كأني به يريد أن يعبر لنا عن كنه الانسان بأسلوب فلسفي فيقول : بأن الانسان لا يزال عاجزاً عن معرفة حقائق نفسه كلها . فالنفس الانسانية لا تزال لغزاً بالنسبة إليه فكيف بالنسبة إلى غيره ثم الانسان يموت ويبقى ناقص التجارب في معاملاته مع الناس، إنسان مثلي يشبهني بنزعاته والبعيد لأنه ليس من أبناء عمومتي وأقاربي ولأنه قد لا يحس إحساسي .

جولة أخرى في الدراسة الأدبية للنص

المناسبة والدوافع :

من خلال اطلاعنا على النص وأفكاره واستقرائنا لمعانيه نجد أن الكاتب يصف لنا وادي الفريكة مسقط رأسه. وصف الشاعر الذي يحس في أعماق قلبه بجمال الطبيعة ويتقصى مباهجها ببصره وسمعه وسائر حواسه ، ووصف المعتبر المتألم الذي يرى الشيء فلا يكتفي بمشاهدته بل تثير فيه رؤيته التأمل والتفكير والعواطف المختلفة ولا سيما العاطفة الانسانية النبيلة . لقد امتزجت في هذا النص رقة الشعور ورهافة الحس مع عمق الفكرة وصدق التأمل وسمو النفس الانسانية ونشدان مثلها العليا الرفيعة وانضم إلى ذلك كله خيال وثاب يشخص الطبيعة ويتملى بجمالها ويتحد بروحها مع دقة علمية في الوصف وجمال في التصوير والتعبير إلى جانب ازدحام الصور البيانية الشيقة .

الافكار الكبرى :

يصف الكاتب من خلال النص الذى مررنا به وادي الفريكة المهيب الجميل ويعين مبدأه ومنتهاه وتنوع مباهجه بحيث يسر كل من يزوره ثم يصف زيارته له ابتغاء الافهام والفائدة . وابتهاجه بجمال طبيعته واستمتاعه بالهدوء فيه وتسامي روحه عنده . حتى إنه ليسالم الطير ولا يريد أن يفرّ منه ثم انتقاده البشر الذين لم يدركوا بعد معنى الانسانية في نفوسهم .

معاني النص :

بعد أن ألقينـــا بادىء ذي بدء نظرة أدبية سريعة وجوله فكرية خاطفة في معـاني النص وأفكاره المهمة والرئيسية في فقراته الخمس ثم فرزنا الصور البلاغية في أجواء النص وثناياه وتناولناه بالنقد والدراسة والتحليل . وتحدثنا عن مدى تأثيرها الفني في النفس المرهفة . . .

أما الآن فانني أريد شرح هذه المعاني وتناول الأفكار بصورة عامة ثم أنتقل بعد ذلك إلى نقد النص وبيان أسلوبه الفني والعاطفي وتأثيره في نفوسنا ومشاعرنا . . .

أعود لأستهل دراستي الخاطفة بالتعرض لمعاني هذا النص بعامة والأفكار التي ضمنها الريحاني مقاله هـــذا في وصف مسقط رأسه وادي الفريكة الذي ولد فيه الكاتب الشاعر في ربوع لبنان الجميلة وطبيعتها الغناء . . . وادٍ مهيب جميل هيبته أكثر من جماله وهو متنوع المشاهد مختلف الارتفاع والأشجار ينبت فيه الدلب على ضفاف الأنهار ويسمو فيه الصنوبر على القمم مشرفاً على البحار .

إنه مهيب يخاف الناس أن ينحدروا فيه لما فيه من صخور شاهقة ومنحدرات خطرة ووهاد سحيقة وكهوف موحشة مظلمة ولكنه جميل تتنوع مشاهده ويكثر خيره فيسر كل إنسان يزوره ؛ يسر الفلاح الذي يؤمه ليحتطب منه ويسر محب الطبيعـــة الذي يجلو بصره برؤية مفاتنه ويسر محب السرور فيأتي إليه بخمره وعوده ويضم موسيقاه الانسانية إلى موسيقا الوادي الطبيعية .

لقد زاره الكاتب لا ليعبث بل ليكون له مصدر وحي وإلهام وفائدة وانتعاش هو يشبه نفسه بالفلاح في ابتغاء الخير من الوادي ولكنه شتان ما بينهما في المحاصيل . فمحصول الفلاح طعام للناس ووقود ، ومحصوله هو إنتاج الفكر والخيال والعاطفة والفن . والفلاح في نظره هو الفيلسوف الحقيقي لأنه يقدم للبشر فائدة محسوسة مؤكدة ولأنه ورث حكمة الأجيال العملية عن أسلافه وأن الكاتب هنا ينقد العمل في الأدب ويشكو من قلة الخير الذي يجنيه منه صاحبه والناس .

ابتهج الكاتب بجمال الطبيعة في الوادي وأحس بأن روحه انفصلت عن جسمه وطارت فوق الأشجار محومة تحويم الفراش وطغت عليه غمرة من المرح النفسي والذهول البهيج والنشوة الوادعة وولى عن رأسه كل ما كان يتعبه من أفكار وخيالات وأمان ، وشعر باتحاد روحه مع روح الوادي فشبه نفسه به بما فيه من خير وشر كأن هنالك تجاوباً بين الطبيعة والانسان الذي يعيش فيها وذكره هذا بالقارىء على أنه يمثل لانسان فرآه منه بعيداً قريباً هو قريب منه لأنه مثله في النزعات الانسانية وهو بعيد منه لبعد نسبه أو لأنه لايشاركه في السمو الانساني الذي أحس به وهو في أحضان هذا الوادي فقد استمتع الكاتب بجمال المكان استمتاعاً فائقاً وإن فاته بعد النظر الصوفي لأغوار الحياة وكنهها الانساني البعيد ، فالعبرة والاستمتاع بالمكين لا بالمكان فحسب ، فمن خالق هذا الجمال ومن هو مبدع هذا الكون . فأحسن إبداعه وجماله في شتى مظاهره ؟ إنه رب العزة وهو الأول والآخر والظاهر والباطن سبحانه من إله عظيم ورب مبدع خلاق . .

أعود لأشارك الكاتب في إحساسه بجمال الطبيعة في هذا الوادي ، وتمتعه برونقها الأخّاذ وتعبيره عن هذا الشعور بما جاد به خاطره وما أسعفه به مداده ووسع له قرطاسه . . .

فهذا الانسان أحس بجمال الوادي في هذه الطبيعة الوادعة الناعمة لجو لبنان الساحر أحس بطيب هواء هذا الوادى ، وتنشق أريجه العبق الشذا كما أحس بالهدوء الحالم وبروح السكينة فيه فسمت روحه واشتدت النزعه إلى السلم فيه فأصبح لا يريد أن يزعج الطير منه ويفر أمامه وتمنى لو يحلق الطير فوق رأسه فيتبادلان قبل الحب والوئام ويبشان لأنفسهما لواعج الغرام . وأن يكون الانسان مسالماً خيراً لم يعود الطير أن يصطاده ويؤذيه وأن يعرف السنونو أن الريحاني بشر لا كغيره فهو لا يريد إيذاءه ومسه بسوء .

ويختتم الكاتب كلامه بهذه الجملة المتألمة الموحية التي لا أمل لصاحبها في أن يفهمه السنونو طالما أن الانسان نفسه لم يفهمه بل طالما أن الانسان لم يفهم بعد معنى الانسانية في نفسه فيعمل بموجبها « وهل يلام على ذلك والانسان نفسه لم يزل يعجز عن فهم ما انطوي عليه الانسان » .

الاسلوب والعاطفة :

يغمر النص عاطفة من المرح والسمو الانساني والابتهاج بمفاتن الطبيعة . وقد وفق الكاتب فيه توفيقاً جيداً بحيث جعلنا نشاركه في عاطفته وتأملاته وسموه وان نعيش معه في المكان نفسه وفي اللحظة نفسها من الزمان . وأسلوب النص سلس واضح مشرق لا نرى فيه معنى

غامضاً ولا كلمة غريبة قلقة لا تفهم من سياق الكلام ، ولا تركيباً معقداً نتساءل ماذا يريد الكاتب به !

وهو بعد ذلك مقسم إلى مقاطع وجمل وفقرات ونحس حين قراءته بجمال موسيقاه وطرب النفس له .

وقد ظهرت فيه قدرة صاحبه الخارقة على التصوير الحسي والنفسي ، تصوير الظاهر والباطن تصوير جمال الطبيعة ومفاتنها ومباهجها، وتصوير خلجات النفس وعصى أحاسيسها وأسمى مشاعرها . . ؟

وأطلق الكاتب لنفسه العنان في الانطلاق في أجواء البلاغة والتحلق في آفاق البيان فأتى بكثير من التشبيهات اللطيفة كقوله : « طارت مسرعة صامتة كما يطير السنونو والحسون في هذا الفصل » وكثير من الاستعارات الرائعة المتلاحقة تترا في مقاطع هذا النص البديع مثال ذلك قوله : (ينحدر من قرية صغيرة ليغسل رجليه في نهر الكلب) وقوله (ولكن فأسي ومنجلي يختلفان عن فأسه ومنجله) وقوله : (لأتفقد الوادي بعد أن اغتسل بسحابة الخريف الأولى) وما الى ذلك من الصور الكثيرة المتلاحقة والاستعارات الطريفة المستظرفة . وبعد فان الريحاني في هذا النص غني في كتابته وايحاءاته غنى الوادي الذي ولد فيه بمباهجه ومفاتنه .

نموذج ثان من كتابته

قال من مقال له بعنوان (الجوع) من كتابه الريحانيات (١) :

١ ـ اذا نضبت في البلاد الأنهار واستحالت السماء نحاساً حامياً ترسل أشعة شمسها نقمة وانتقاماً فتحرق الأشجار وتأكل النبات وتجفف الأرض وتجعل الحقول كالصحراء يحدث في الناس مجاعة لا يد جانية فيها للانسان .

وإذا غزا الجراد زرع أمة ومروجها يلتهم الأخضر واليابس كشمس النفوذ في الصيف فلا تترك وراءه شيئاً يصلح للغذاء ، يحدث في البلاد مجاعة لا يد أثيمة فيها للانسان .

وإذا ألقى الوباء في أمة عصاه ، وشرع يفتك بها فتكاً ذريعاً أوجب عليها النطاق الصحي فأبعدها من خيرات الارض خارج تخومها (٢) قد تجهز عليها مجاعة لا يد جانية فيها للانسان .

٢ ـ ولكن أمة طائعة أولياء أمرها ، أمة مخلدة إلى السكينة ، أمة بريئة تربأ على الذل ، صبورة ، سكوتة ، جلودة ، تربتها على الأقل لم تزل جيدة ، أنهارها لم تزل جارية . سماؤها لم تزل مقيمة على عهودها ترسل

---

(١) وقد كتب هذا المقال عقب الحرب العالمية الاولى حين كانت المجاعة شديدة لا تزال تفتك بالناس وهو في أمريكة . وقد ورد هذا النص بكامله في ريحانية الجزء الرابع والاخير .

(٢) التخوم : الحدود .

غيثها شتاء ربيعاً في مثل هـــذه الأمة لا تحدث مجاعة إلا لأحد أمرين لجهل فيها أو لجور في أولياء أمرها والمجاعة التي لا يد فيها للطبيعة أو للقضاء أو لله إنما هي جناية الانسان الكبرى على أخيه الانسان .

٢ ـ إن خيرات الأرض لتكفي أبنـــاء الأرض وان التكافل والتعاون لمن أوليات الوجود الانساني الحضري منه والبدوي .

فاذا أغفلنا الآن البحث في أسباب المجـــاعة ونظرنا الى نتائجها فقط تحتم علينا النظر أيضاً في الطرائق الفعالة لازالتها ، ولازالتها سريعاً .

٤ ـ أمة صغيرة في بقعة قصية من الارض تتضور [١] اليوم جوعاً وأمة كبيرة عزيزة الشأن عظيمة الصولة يفيض عنها من خيراتها ، أليس من العدل إذن ، بل من الواجب المقدس أن نأخذ مما فاض عن هـــذه لنطعم تلك الجائعـــة ؟ نعم وما يصح في الأمم يصح في الأفراد وهذا التعديل في خيرات الأرض عدل لا فضل فيه لمن أعطى ولا شكر عليه قبل العطاء .

٥ ـ الأمة المنكوبة أمتنا أيها الناس الجيـــاع فيها إخواننا وإن الفائض عنا اليوم لاحق لنا به البتة لا والله ليس ما فاض من خيرنا اليوم لنا بل هو للجياع في بلادنا ولو كنت من أولي السيادة والسلطان لأخذت اليوم من الشبعـان لأطعم الجـائع ولفرضت على كل سوري مقداراً من المال يدفعه راضياً أو مكرهاً .

---

(١) تضور : تلوى من وجع أو ضرب أو جوع ، ويقال تضور الذئب ونحوه : صاح عند الجوع .

أسئلة حول النص للمناقشة :

- ما هي الافكار الانسانية التي أتي الكاتب بها وما هي النواحي الأساسية التي حاول طرقها ؟ .
- ما هي مميزات الأسلوب في النص وما هي العاطفة التي تتجلى فيه وتشع بين ثناياها ؟
- أتجده يكثر من التشبيهات والاستعارات كما في النص السابق (١) أم أنها قليلة ؟ وبم تعلل ذلك ؟
- هل تجد صوراً كثيرة في هذا النص ما نوع هذه الصور وما فائدتها في التعبير ؟
- حاول شرح هذا النص شرحاً أدبياً ونقد أسلوبه على ضوء ما مر معك في نقد ودراسة النص (وصف الريحاني لوادي الفريكة) .

نماذج جزئية :

لقد سبق أن أشرت إلى النزعة الابداعية في وصف الريحاني للطبيعة وامتزاجه بها ، واحتفائه بها في أدبه .

إليك شاهداً نسوقه إليك لترى كيف يبث شعوره واحساسه

---

(١) وصف وادي الفريكة ،

المفطور على حب الطبيعة والاعجاب بها والدهشة لمفاتنها والاهتمام لروعتها وبهجتها ، وقد اجتزأت لك هذا المقطع الصغير من ريحانياته :

« فاذا كنت أيها القارىء شاعراً أو مصوراً أو كاتباً بل لو كنت صباغاً أو دباغاً فوجه نظرك الى الطبيعة أولاً تستمد الالهام الالهي وعنها تقتبس الالوان البديعة والمناظر الجميلة والاشكال الأنيقة والنغمات السماوية».

ودونك مقطوعة أخرى يصف فيها معالم الطبيعة حينما كان يجوب خلالها وبرحابها وفي أبدع الاماكن على رمل الاسكندرية وشواطئها كيف لا يحسن الوصف ولا يبدع التصوير وهو ابن الطبيعة البار الذي رضع بلبانها وترعرع على حبها والفناء في جمالها والعشق لمفاتنها اسمعه يقول : « إيه أيتها الأمواج الخالدة كما شاهدت من أمواج الانسانية الخالدة ومن بحورها الفاتنة على هذا الساحل الجميل لعبت الملوك قديماً أدوارها فتغنت بها أرباب الفنون ورددت صداها ألسن الشعراء لا تعجبي من هياج هذا الانسان واضطرابه فما هو سوى طوائف من الاسماك والحيوانات البحرية تختبط في بحر من النفس لا يرى في هذا العراك الشديد والضجيج المديد تضمحل الاشكال وتنقرض الرجال أجل هم يشيدون الصروح وهم يهدمونها هم يؤسسون الممالك وهم يبيدونها ثم تطحن وجوههم تحت أقدامك وأنت باسمة ضاحكة » .

نلاحظ اختيار الريحاني للتعبير البسيط واللغة السهلة واللفظ الدمث إن أدبه قريب من الحياة ممتزج بها وبأحداثها فهو لا يعتبر أدبه الذي ينتجه مجرد متعة فنية فحسب وانما هو أدب مثالي قبل كل شيء يمتزج

بالواقع ويخالط الحقيقة وينسجم مع الحياة بكل ما في كلمة الحياة من معنى يقول في إحدى مقالاته متحدثاً عن نفسه : « رضيت أن أكون من الطبقة الاولى في الوطنية ولو جعلني ذلك في الطبقة الوسطى من الشعراء إذن هو يريد أن يكون مصلحاً اجتماعياً بل ورائداً وطنياً على حد قوله فلقد سخّر أدبه للحياة وللحياة ـ كما قلت ـ وجعل أدبه الذي ينفعل في ذاته ويتفوه به إلى الآخرين ؛ عبارة عن وسيلة ليبلغ من خلالها أهدافه التي ينشدها ولينفذ منها إلى الحياة فقط ولم يرض أن يكون أدبه مجرد متعة ولهو وتسلية يتشدق به إلى الآخرين وإنما هو رجل انفعل وفعل وتأثر وأثر ، فأدبه كما نراه ممزوج ـ بصورة عامة ـ بالألم فهو ينقل الينا زفرات من قلب متفطر ونفس مغموسة بدم الأحداث ومشفوعة بآهات الخطوب . ومع ذلك لا يخل نتاجه من أدب إنشائي وأدب ذاتي وتصوير للطبيعة وغيرها من مباهج الكون والحياة فأدبه بستان فيه من كل دوحة زهرة ومن كل زهرة لون، وروضة تعج بالخمائل والرياحين وتزخر بالورد والياسمين.

كل هـذا بأسلوب يتسم بالبساطة والعفوية ومما نلاحظه من أبرز سمات أسلوبه: القلق والتشعب وعدم التركيز على ناحية معينة في كتابته وما أدبه الوجداني لا نجد توازناً بين عقله وعاطفتـــه بل تطغى عواطفه على أفكاره وتبرزها فلا تتجلى لنا معالم الوصف المادي والتصوير الحسي بقدر ما يتجلى لنا وجدانه الخالص وبقدر ما تشف لنا عن عواطفه الفياضة الثائرة . وهو بعد ذلك ـ كما لمسنا من خلال نتاجه الأدبي ـ كاتب واقعي تجاوز الواقع الى المثـالية أو أقول نفسه الثائرة الأنفه وموائمتها مع المثل العليا ، جعلت هـذه الأخرى تشعر الريخاني بوثاقها وتجذبه اليها كما أن

نزعته الابداعية مزجت نفسها بأدبه وتجلت بوضوح وجلاء في واقعيته التي حاول تطبيقها ونشدانها في حياته لكن الظروف أبت إلا أن تجعل منه مصلحاً قومياً ومصلحاً اجتماعياً أذاب نفسه ومصالحه الشخصية في بوتقة الآخرين ومصلحة هؤلاء النـــاس ، لذا كان أسلوبه بصورة عامة إلى جانب موسيقيته العذبة واستعماله بعض الفنون البديعيـة في أدبه متميّز بالجرأة والصراحة حيناً وبالسخريه طوراً وباللهجة الحماسية والفـاترة تارة أخرى وذلك بحسب الموضوع الذي يتطرق اليه ، إن أدباً اجتماعياً أو قوميـاً ، وبحسب النوع الأدبي الفني الذي يستعمله من شعر أو نثر بأنواعه من مقال أو خطاب أو قصة .

ولكي أشفع قولي وأحكامي عنه بأدلة وشواهد على ذلك أو رد لك نماذج أخرى مـن بعض فنونه الأدبية فهو كما نعلم إنسان مسيحي لم يعبأ بالنزعة الدينية وبخاصة الاسلامية لأثرها في توحيد شمل المجتمع وجمع رايته وتوحيد كلمته ولذا نراه يعتد بالقومية العربية كما دعا إليها العرب وزعمائهم في مطلع النهضة الحديثة فلقد جهر الريحاني بصوته عالياً منادياً بعروبته في كل مكان ومعتزاً بها ومفتخراً بفضلها :

« أنا عربي جنسيتي على لســـاني وفي وجهي وطيّ أضلعي أنا عربي رمل البادية ، عزيز عندي كدم ابنائها . أنا عربي ماضي بلادي حيّ في فؤادي ومستقبلها نور من أنوار أيماني » ويقول أيضاً مخاطباً أمته التي عاش في ظلالها وانشأ في ربوعها : « أمي أمتي هى خالدة لاتموت في قلبها ذرة من الرجاء لاتموت وإن أمست أرضها غاباً من المشانق لاتموت وفيها من أبناءها من يموتون شهداء الحق والوطن والحرية » .

وهذه بعض العينات من أدبه الثائر وإذا تجاوزنا الناحية الوطنية في أدبه والجانب القومي في اتجاهه الفكري ورحنا نقلب صفحات أدبه الثوري هذا لوجدنا أنه خاض كل ميدان تقريباً فهو لا ينس مجتمعه الذي يعايشه وإن غادره بحكم الظروف القاهره إلى الغرب بغية لقمة العيش وأمور أخرى . . .

إليك مثلاً أنتقاده لأسلوب التعليم في بلادنا ونزعته الطائفية التي تشوبه والتفرق العنصري الذي ينتابه وروح التفرقه التي بثها الاستعمار بين صفوف العرب في البلدان المجاوره .

« فالتعلم الطائفي ثبتنا في نزعاتنا الدينية والطائفية والتعليم الاجنبي أبعدنا عن الوطنية الحقة فجعلنا متفرنجين وقد استفاد الفرد ولاشك فكانت النتيجة التفريق والشقاق »

ها كه يقول :

وإليك نموذجاً آخر قصيراً في عبارته، بعيد الأغوار في معناه ولو كان صغيراً في مبناه « إنها الحرية التي نفدت أيام الذل والخنوع والاستقلال والعبودية فأصبحت كلمة الحرية لفظاً مجرداً عن معناه التطبيقي كلمة ترن لها الآذان ولا تجد لها منفذاً في الحياة فماذا كان شعور الريحاني نحو ذلك؟ اصغ إليه يحدثك عن ذلك فيقول :

« وماذا ينفع السجين قولك له أنت حر ؟ إذا ظل راسفاً في سلاسل الحديد مسجوناً في غرفته المظلمة ؟ » . . .

نموذج ثالث

أحراج كاليفورنيا (١) :

تقديم للنص :

للوطن في نفس المرء معنى يمتزج بروحه ويسري في كيانه فيضفي على معالمه روعة ويجعل لها أثراً لا يحبه الانسان ولا يشعر به في غيره من معالم الأوطان ومشاهدها . وما يزال الحنين يدفعه إليه كلما بعد عنه ، وما تزال النفس تنازعه إلى العوده إليه مهما حن المنأى وطاب به المقام ، ولله در شوقي إذ يقول :

وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني إليه في الخلد نفسي

والأديب المرهف أقدر الناس على تصوير ذلك والحديث عنه . والآن لننطلق مع الريحاني ليصف لنا هذه الأحراج في امريكة في مستهل حديثه ثم نسمعه يقارن لنا بين اشجار كاليفورينا وأرز لبنان .

يقول : « في أحراج كاليفورنيا من ولايات امريكة المتحدة اشجار تفوق أرز « لبنان » قدماً وكبراً ، وقد حفرت في جذورها طرق كأنها أنفاق (٢) ، تمر فيها العربات هذا دليل واحد على ضخامتها المدهشه ،

---

(١) الأحراج : أمكنة ضيقة كثيرة الشجر .

(٢) أنفاق : جمع نفق وهو السرب في الأرض له منفذ ـ

والدليل على قدمها ظاهر في بقايا الجذوع المتحجرة في تلك الأحراج . ولكن اشجار كاليفورنيا ، وهي من عجائب الدنيا ، إنما هي جماد هائل لاسر فيها ولا معنى لها ، هي عظيمة ، ولكنها عقيمة لاقصة لها ولا تاريخ لم يعش في ظلها نبي ، ولا تغزل بها شاعر ، كانت تظل البربري[1] ووحش الغاب وما عند مثل هؤلاء شيء من الفكر والشعور ليزرعه حولها .

إن عظمة تلك الأشجار مادية محض ، وشهرتها لاتتجاوز بلادها وعلم العلماء والسياح .

أما شجر الأرز وغيره من الأشجار المقدسة كالبَوّ عند الهنود ، والسدر [2] عند المسلمين ، ففيها غير الظاهر من الضخامة والعظمة ، فيها غير المادة . إن للأرض صوتاً لايتلاشى وإن صارت هي إلى الفناء [3] . الأرز من الأشجار الناطقة بسرّ من أسرار التاريخ ، بل اسرار النفس البشرية .

فما السر يا ترى في القداسة التي تنمو في هذه الأشجار فتزيد قدمها جلالاً وعظمتها جمالاً ؟ أعبثاً يمزج الانسان شيئاً من نفسه وآماله بشيء من التراب والشمس والماء والهواء .

---

(١) البربري : كثير الكلام و والجلبة والصياح والمراد غير المتحضر .

(٢) شجر الغبق : ورد في القرآن : (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود . . . . سورة - الواقعة .

(٣) وإن صارت هي : أي صارت الأشجار .

ما هو الاتصال السري بين روح الأشجار وروح الشعراء والأتقياء من الناس ؟ لا أتعمد الغموض فيما أقول ، ولكنه تخيل لي أن بذرة من بذور الايمان ، ونقطة من ينبوع الحب تقعان مـــن الانسان وقلبه عند أصول شجرة يقدسها فتختلطان وإياها ، فتنموان في زهرها وتثمران في ثمارها ، وتتصاعدان بخوراً في صحفها (١) ، وأحياناً تمرض (٢) ، في قطرها (٣) ، وتسوس في لبها (٤) .

نقاط للمناقشة

- عقـد الكاتب موازنه بين أشجار كاليفورنيا وأشجار الأرز ، فيما رأيه في كل منهما . ؟
- الكاتب يعد أحـد الأدباء المهاجرة الذين ظلوا أوفياء لأوطانهم معتزين بهـــا ، مشتاقين إليها ، شديدي التحمل لذكرياتها . . . . . ما مظهر ذلك ؟
- تبدو عاطفة الكاتب من خلال أسلوبه ، فيم يتمثل هذا ؟
- ما الخصائص الأدبية لأسلوب الريحاني كما يوضحها هذا النص؟

---

(١) المقصود بصحفها هنا ورقها .
(٢) أي تفسد .
(٣) أي ناحيتها .
(٤) قلبها .

شرح أفكار النص ومعانيه :

إن روعة غابات كاليفورنيا لم تنس الكاتب روعة أشجار الشرق وسحرها ، وبخاصة أشجار الأرز بالبنـــان التي استظل بظلها ، وتنسم عبيرها ، وسمع ، منها تاريخ بلاده ، وامتزجت روحه بروحها ، يقول : في غابات كاليفورنيا (١) أشجار تزيد على اشجار الأرز في لبنان من حيث القدم والفخامة ، ومـــا يدل على فخامتها تلك الطرق التي حفرت في جذورها لمرور العربات ، والتي تشبه الأنفاق المحفورة في جوف الأرض ، ومما يدل على قدمها تلك الجذوع التي تحجرت في تلك الأحراج .

ولكن هذه الغابات على مالها من قدم ، وعلى ما هي عليه من ضخامة ، وما وصلت إليه من شهرة بحسبانها إحدى عجائب الدنيا ليس فيها سرّ ، وليس لها معنى ، إنها عظيمة ولكنها صامتة لاتنطق ، صماء لاتسمع وهي قديمة ولكنها غير مفيده لا تحكي قصة مجـــد قديم ، ولاتدل على تاريخ عريق لم تكن مهبطاً لوحي ، فلم يبعث فيها نبي يحمل النور ، ويبني الطريق ، ولم تنجب شاعراً يشيد بذكرهـــا ، ويجلي للناس محاسنها ، كان يعيش في ظلها الوحش الضاري والانسان البدائي ، ولا يستطيع أحـــد هذين أن يصنع حضارة ، أو يثير شعوراً . فاذا كانت هذه الأشجار عظيمة فعظمتها مادية لاروح فيها ، ولا معنى لهـــا ، وكل شهرتها محصورة فيما يعرفه أهل

---

(١) في الولايات المتحده .

كاليفورينا عنها ، ومايعرفها العلماء عن أنواعها ، ومايعرفه السائحون الذين يزورونها . أما شجر الأرز [1] وغيره من الأشجار المقدسة عندالشرقيين كشجر البوّ عند الهنود ، وشجرالنبق (السدر) عندالمسلمين ، فلايقف أثرها عند حد ضخامتها ولا تستمد روعتها مماثلها من عظمة مادية فحسب، ولكن لهـا فوق ذلك قيمة معنوية روحية ، إنها تحمل كثيراً من أسرار التاريخ ، وتروي كثيراً من عظاته ، بل إنها تحمل أسرار النفس البشرية ذاتها ، وتنبىء عن كثير من مكنوناتها .

ثم يتساءل الكاتب تساؤل المعجب المفتون ،عن سر قداسة هـــذه الأشجار . تلك القداسة التي تزيد قدمها جلالاً ، وتزيد عظمتها روعـة وجمالاً . كما يتساءل عما يدفع الانسان إلى أن يمزج المعنوي من نفسه وآماله بالمادي من التراب والشمس والمـــاء والهواء التي تتمثل في تلك الأشجار ، عن الرابطة الخفية التي تربط بين روح الشعراء والأتقياءالذين خلصت نفوسهم ، وسمت أرواحهم ، ففهموا أسرارالكونوتمثلواحقائقه.

ويحاول أن يجيب عن تساؤله ، وأن يجد رابطة بين كل أولئك ، وأن يكون واضحاً فيما يقوله ويميل إليه ، إنه يتخيل أن هذه الشجرةالتي يقدسها الانسان قد اختلط بأصلها بذرة مـــن بذور الايمان الذي يعمر قلبه « وقطرة من ينبوع الحب الذي يفيض من نفسه ، فأينعا معها ونموا بنموها ، وتفتحا في زهرها ، وظهرا في ثمرها وتصاعد شذاها الطيب في أوراقها ، فاذا ما هلكت وأصابها الفناء كان نصيبها .

---

(٢) في لبنان .

نقد وتعليق على النص السابق :

١ – هذا نص من النثر الأدبي المرسل ، لم يعمد فيه الأديب إلى المحسنات يتخذ منها وسيلة لتجميل الأسلوب وتحسينه ، ولكنه أطلق نفسه على سجيتها ، فجاءت عبارة سهلة واضحة لا تكلف فيها ولا تعقيد .

٢ – والموضوع بصورته التي تراها من الموضوعات الجديدة في النثر العربي فالكاتب يتحدث عن مظهر من مظاهر الطبيعة ، ويضفي عليه من سمات النفس البشرية مايشعرك بأن الكون بجميع مظاهره وحدة متكاملة ، يتفاعل بعضها مع بعض ، ويؤثر بعضها في بعض ، تجد فيه النفس البشرية ما يلهمها ، ويستجيب لها .

٣ – والأديب شديد التعلق بوطنه ، عظيم الحب لبلاده ، يتضح ذلك في مقارنته التي عقدها بين أشجار كاليفورنيا وأشجار الأرز ، بل إن هـذا الحب يتسع فيشمل بلاد الشرق ، فيجد في شجر البو عند الهنود وشجر السدر عند المسلمين ما يجده في شجر الأرز بلبنان فأشجار الغرب ضخمة فارغة ، وكبيرة جامدة ، ليس فيها سر ، وليس لها تاريخ ، ولم تكن مصدر وحي أو إلهام ولذلك كانت عظمتها مادية لاروح فيها ، سطحية لامعنى لها ، أما أشجار الشرق فلها سر ولها تاريخ ، لها في نفس الشرقيين قداسة ، ولها بأرواحهم أوثق الصلات ، إنها مهبط الوحي ، ومصدر من مصادر الالهام .

٤ – والأديب المهجري يحدثنا بألفاظ سهلة ، واضحة المعنى قريبة

المأخذ في عبارة خالية من التعقيد ، بعيدة عن التكلف. والميل إلى السهولة نزعة اشتدت عند أدباء المهجر ، وقد أسرف بعضهم في التسهيل حتى وقع في الخطأ والابتذال .

٥ — أما المعاني فالكاتب يعمّق فيها ويستقصيها، ويذكر كل مايتصل بها ليؤكدها . فأشجار كاليفورينا عظيمة قديمة ، ولكنها عقيمة لا سر فيها ولا معنى ولا قصة لهـا ولا تاريخ ، لم يعش في ظلها بني ، ولا تغزل بها شاعر..... وهكذا يستقصي كل ما يؤيد رأيه . والاتصال بين روح الاشجار وروح الشعراء والأتقياء يأتي من أن بذرة من بذور الايمان ونقطة من ينبوع الحب متوافرتان فيها وهكذا يتابع الصورة ويصل بها إلى مداها المحلق البعيد .

٦ — وأفكار الكاتب مرتبة مسلسلة ، فهو يتحدث عـن أشجار كاليفورنيا ويبين رأيه فيها ، ويستدل على هذا الرأي، ثم ينتقل إلى أشجار الشرق ، ويذكر ما يعتقده فيها ، ويحاول أن يلتمس سبباً لمـا رآه مـن اتصال بين روح الأشجار وروح الانسان .

٧ — والموسيقا في النص جاء بعضهامن حسن سبك الألفاظ وبراعة تركيبها ، وهذا مايسمى بالموسيقا الخفيفة ، وجاء بعضها ظاهراً يبدو فيما في النص من مزاوجة ومن تقابل «لا سر فيها» ولا معنى لها . هي عظيمة لكنها صماء ، هي قديمة ولكنها عقيمة تنموان في غضونها وتنوران في زهرها وتثمران في ثمارها .

٨ — ويبدو في النص ميل الكاتب إلى الاطناب فقد مربك وصفه للأشجار بأنها جامدة ورأيت كيف عبر عن هذا المعنى وأكده واستقصي

الحديث فيه وهو يتساءل عن قداسة الأشجار وعن سر اتصالها بالانسان في أسئلة مكررة متتابعة .

٩ – والكاتب يستعمل الأسلوب الخبري التقريري كما يستعمل الأسلوب الانشائي الذي يتمثل فيما ساقه من استفهام أراد به لفت الذهن وإيقاظ الشعور ليس إلا .

١٠ – والصور الخالية منثورة في النص دون تكلف أو معاناة كالتشبيه في : طرق الأشجار الشبيهة بالأنفـــاق وفي الأشجار الصماء واليكماء العقيمة وفي بذور الايمان وينبوع الحب .

وكالاستعارة التي تبدو في :

(الفكر والشعر اللذين يزرعان والارض التي لهـا صوت لا يتلاشى والأشجار الناطقة بالسر) .

وكالكناية التي تبدو في :

(لم يعش في ظلها نبي ولا تغزل بها شاعر) ... فقد أراد أنها مادية لم تتصل بالروح والمعنى . وفي (كانت تظلل البربري) و (وحش الغاب) لبيان أنها بدائية متأخرة .

نموذج رابع

قال في مقال دموع الشاعر من كتاب « أنتم الشعراء » :

« لا أظنك تجـــد من الدموع في شعر الأمم الأوربية كلها مقدار نصف ما عندنا في الشعر العربي . ولا أظنني فيما أقول مبالغاً ، جُلْ في ربوع الشعر أو في بواديه ، تجد هناك من الدموع بحيرات ومستنقعات ، خذ أي ديوان تشاء ، وافتحه على بركة الله ، تحظ بقصيدة شاكية ، أو بقافية باكية ، خذ أي كتـــاب من كتب الأدب القديم ، ترى صفحات مزدانة بالاشعار وفيها دائماً من النوع الذي يسيل دمعاً سخيناً سخياً ، قصائد هي السواقي ، قواف هي الشلالات ، دواوين هي الينابيع المعدنية .

ويظهر أن الذين يتذوقون الشعر ويروونه ، أو يعنون بنقـــله والاستشهاد به ، في بث فكرة ، وتزيين مقال أو إعلان هم شغفون بدمعة الشاعر ، فيغفلونها غالباً على ابتسامته أو على غيرها من ظاهرات مزاجه . هاك ما قرأت في ورقة اليوم (الروزنامة) :

وإذ عصـــاني الدمع في إحدى ملمـات الخطوب
أجريتـــه بتـذكري ما كان من هجر الحبيب

كأن جري الدمع على الخد لازم للصحة والهناء لزوم جري السوائل الأخرى في الجسم البشري . وإننا نرى الشاعر ههنا مثل الطبيب يعـالج المتعسّر العاصي منها بالأدوية ، فقد اكتشف دواء لنفسه « هجر الحبيب» فعله عجيب : خذ ملعقـــة واحدة من « تذكر الحبيب الهاجر » تتفتح

مجاري الدموع فيك ، فتلين عينك القاسية العاصية ، فتأتيك بالعبرات في الملمات . . .

اسمع ابن زهر يقول في موشح له :

عشيت عيناي من طول البكا وبكي بعضي على بعضي معي

ثم قال في المقطع التالي مكذباً نفسه :

كلما فكر في البين بكى ويحه يبكي لما لم يقع

وهذا لعمري حال الأكثرين من شعراء الدموع ، فهم إما مقلدون وإما سباقون للحوادث ، المفجعة ، فيبكون قبل أن تقع .

إن الألم يرفع بالشعراء الكبار إلى أوج المعرفة ، فيرون الحياة كاملة بمظهر منها ، ويرون كذلك الشعلة الالهية التي تنير لبها وحواشيها .

ولكن الألم غير الدموع ، ومن السهل على من لا يفكرون تفكيراً صحيحاً علمياً أن يخلطوا بين الاثنين .

الدموع تسكن القوى ، الآلام تثيرها ، الشعراء الكبار مثل أبي العلاء ودي موسه ، قاسوا من آلام الحياة أشدها وأنواعها ، لما كان في في زمانهم من جهل وظلم ووهم وفساد ، ولكنهم لم يبكوا ، لا ، لم يذرفوا الدموع ، بل كانوا ثائرين متمردين داعين للثورة والتمرد ، داعين لجهاد الظلم والظالمين . لقد هيّج الألم فيهم الدم ، وما هيج الدموع .

لقد أثار العواطف منهم ، وما أثار البكاء .... !

لقد أثار الألم عقولهم بأنوار العطف والحنان ، وأشعلها بنيران النقمة والجهاد ، فرفعوها عالياً في شعرهم ، هدياً وتحريضاً للناس .

للمناقشة :

- ما النزعة الغالبة على الشعر العربي كما يراها الكاتب ؟
- هل الشعر العربي كله نزاع إلى البكاء والدموع ، أم أن الرواة والمستشهدين شغفوا بهذا الاتجاه ؟
- كيف تحكم الشاعر على شعراء الدموع ؟
- من الشاعر العربي الذي صبر على آلام الحيـــاة ، ولم يذرف الدموع ؟
- قال الكاتب : « إن الألم غير الدموع » . . . . !
  كيف عبر عن هذه الفكرة ؟ ؟
- ما الناحية التوجيهية التي قصد إليها الكاتب ؟
  وما الاتجاه الذي يطلبه من شعراء العصر الحديث ؟

نموذج خامس

ومن ريحانياته أيضاً ـ بتصرف ـ ! ! بعنوان (رفيقتي) :

ـ عرفتها في بلاد الغربة صغيراً ، وعشقتها شاباً ، وعبدتها كهلاً ، سافرت من نيويورك وحدي ، ولكني ، عندما مرت البـــاخرة بتمثال الحرية، أحسست بيد تستوقفني بصوت يعيد إلي جميل الذكرى ويلحفني[1] بالخجل والعار .

هو صوتها وهو وجهها ، وقد ازداد نوراً وجمالاً .

قالت وهي تبتسم : أفلا تخجل من نفسك ؟ أتسافر وحدك للبـــلاد العربية ؟ قلت : أخشى عليـــك منها ـ من وعورة المسالك ، من جمود الأفكار ـ من تجهم النفوس [2] ، من تعدد المذاهب ، من اختلاف البدو والحضر .

أجابت : خير لك أن ترجع إلى بيتـــك من أن تسافر وحدك إلى البلاد العربية .

إن لي في تلك البلاد من أحبوني ، وتعشقوني في الماضي ، وأبناؤهم اليوم يعيدون ذكراي ، ويتشوقون إلى مرآي . إن لي في تلك البلاد آثار

---

(١) يلفحني : يشد لي لحافاً .

(٢) عبوسها .

مجد تتوق إلى زيارتها نفسي ، وإن لي فيها قولاً جاءت ساعته ، وعملاً قرب يومه ، وقصداً دنا أجله .

رفيقتي هي الحرية ، جاءت تزور البلاد العربية ، وتزرع فيها بذورها الطيبة الصفية (١) ، ابتسمت في الحجـــاز ابتسامة المريض ، وبكت في تهامة بكاء الطريد البائس ، وضحكت ثم تأوهت في اليمن ، وجلست تستريح في العراق .

هي الحرية تخاطبكم يا أبناء الأمة العربيـــة ، إن في يدكم إرثاً إذا حميتموه من كل نفوذ سياسي خبيث فاحموه أيضاً من التعصب الذميم .

وإذا كنتم تفعلون فاني ـ أنا الحرية ـ أتيتم بينكم وأبشركم بمستقبـل مجيد وإلا فسأعود إلى أقصى البلاد، وألبس على بلادكم العزيزة الحداد(٢).

مناقشة المعاني

- ما هي اليد اتي استوقفت الـكاتب عند مروره بتمثال الحرية ؟
- ماذا قالت له الرفيقة ؟

---

(١) المختارة النقية .

(٢) لبس الحداد : لبس السواد حزنا .

- بم تعلل الكاتب عن تأخير سفرها معه وبماذا أجابته ؟ هل يذكرها أبناء اليوم ويتشوقون اليها ؟
- تقول : إن لها فينا قولاً ، فما هو هذا القول ؟
- لماذا جعل الكاتب الحرية مريضة بائسه متأوهة في الأقطار العربية ومستريحة في العراق ؟
- تريد الحرية أن تقضي على التعصب الذميم . فبين مضاره ؟

الفصل السابع

حول نثر الريحاني وأسلوبه فيه

على ضوء النصوص التي مررنا بها نجـــد أن (أمين الريحاني) كاتب خصب الانتاج . كتب في موضوعات كثيرة مختلفة : اجتماعية وفلسفية وأدبية وتاريخيـــة وفي القصص والرحلات . وهو في ذلك كله رقيق العاطفة حي الشعور نبيل النفس ، إنساني النزعـــة ، عميق التفكير ، راجح العقل ، متزن يسعى وراء الحقيقة ويؤثرها ولو كانت جارحة مرة ، وعنده ميل إلى النقد النزيه النبيل الغاية والمقصد .

نراه يميل في أسلوبه إلى الاطناب ، ويستطيع إلى جانب ذلك خلق الجو العاطفي الذي يريده ببعث الصور الحية في كتابته ، تثيرها الجزئيات التي ينتبه اليها تمام الانتبـــاه ويحسن تصويرها وإيرادها في قالب لفظي تلائمها موسيقاه .

والريحاني بعد ذلك لا يتقيد بنمط واحد في الكتابة . . . بل هو ينوع الأنمـاط بتنوع الموضوعات ، فأحياناً يكثر من السجع مثلاً بل

ونراه يلتزمه أحياناً أخرى ، وقد تجده يجمع بين الانماط الثلاثة في نص واحد . ولكنه دائماً يمتـــاز بالمرونة وبالقدرة على التعبير عن الافكار الحديثة تعبيراً واضحاً مشرقاً جميلاً ، كما يمتاز بالبعد عن الصناعة البديعية في بعض الأحايين وله مزية واضحة وجدناها من خلال اطلاعنا على نثره وهي انه يقسم النص إلى مقاطع ينتقل فيهـا الـكاتب من فكرة إلى فكرة انتقالاً يجعله شبيهاً بالخطبة التي يستريح الخطيب بعد كل مقطع منها .

وعلى ضوء مرورنا على أدب الريحاني يمكننـا أن نلقي نظرة خاطفة وسريعة على ناثري العصر الحديث وكتابه بصورة عامة وعلى وجه الاجمال.

وقد تبين لنا مما طالعناه من أدب الريحاني وغيره أن نماذج الكتابة في عصر النهضة كانت تميل ـ بمجملها ـ الى العفوية والبساطة والبعد عن التعقيد ومجانبة الغرابة اللفظية ، على أن كتاب هذا العصر ـ على كفاءتهم في القدرة البيانية والعناية بالأسلوب والفكرة يتفقون في إعراضهم عن هذه الزخارف اللفظية التي كان القدامى كثيري العناية بها ، وإنمـا همهم الأول ابراز الفكرة بأيسر عبـارة وأقرب لفظ ، وربما وقع لهم اتفاقاً بعض السجع والجناس والطبـــاق وغيرها من ألوان البديع وفنونه ، ولكنهم مع ذلك لا يلتزمون هذه المحسنات ولا يجعلونها غايتهم .

وانما كانت جسراً لفظياً ـ وإن وقفت بصورة عفوية ـ يعبرون بـه إلى أذهان الآخرين ونقل أفكارهم بوضوح وأمانة إليهم دون تصنيع أو تكلف أو تعمّل ...، كانوا يطلقون أنفسهم على سجيتها في تفكيرهم وتصويرهم وتعبيرهم ، وقلما نجد لهم من أسلوب كتابتهم صنـاعة سمجة

أومعاني غثه أو جمل جوف وانما كانت على النقيض عبارة مشرقة وضاءة، سلسلة واضحة ، متينة السبك والحبك ، لايعتريها غموض أو يشوبها نقص أوينتابها شيء من هذا القبيل . لذا كانت اقوالهم وتراكيبهم تصافح الأذن برفق وبغير عنف ولاشدة ، وتغوص في سويدائهم ، وتسبر أغوارهم .

وجدير بالذكر أن كتاب عصر النهضة يختلفون في النواحي التي عني بها كل منهم فالريحاني مثلاً - والذي نحن بصدد دراسته رأينا كيف اتجه إلى المباحث الفلسفية والانسانية ونحوها على حين اتجه الكواكبي مثلاً إلى السياسة القومية ، وباحثة البادية عنيت بالموضوعات الاجتماعية والنسوية خاصة ، كما نجد المنفلوطي قد عني بالموضوعات الاجتماعية والأخلاقية كما عني بدراسة الأحوال النفسية والتأملات الذاتية ..... ومن خلال ذلك نرى أنهم بالاجماع يحملون رسالة فكرية ينادون بها ويدعون لها ،ولذلك تلمس في كتابتهم صدق العاطفة وقوة العقيدة وحرارة اللهجة ، وهذا ما أشاع في كتابتهم حياة قوية وجعل لها أثراً عميقاً في نفس القارىء والمستمع (١) . . . . وهذه الميزات كلها جعلت كتابتهم سهلة عذبة محببة إلى النفس .

---

(١) والمنفلوطي أكثر هؤلاء الكتاب عناية بالأسلوب وموسيقا الألفاظ .

في نهاية المطاف

أما عن مميزات الريحاني الفنية بخاصة ومزاياه الأسلوبية فقد سبق وتعرضنا لها في مستهل الفصل السابع في سطور متفرقة ومواضع متناثرة.

ولكن ما نستطيع أن نصل إليه الآن بايجاز من خلال استقرائنا لآراء بعض الأباء في الريحاني وأدبه وعلى ضوء ما عرفناه عنه بعض مزاياه الأدبية والفنية والنفسية فهو بحق كما رينا كاتب خصب الانتاج فقد كتب في موضوعات عديدة متنوعة كما ذكرنا وكان في هذا كله رقيق العاطفة مرهف الحس نافذ التفكير ينشد الحقيقة اينما وجدت، ويتتبع الحكمة أنى كانت.... أضف إلى ذلك كله أنه أفاد من الشرق روحه وانسانيته، وأفاد من الغرب تجرده وتفكيره.

فهو بحسب هذه الفقرة الأخيرة التي أوردناها يشبه أدباء المهجر ويتجانس معهم ويتقارب مع أفكارهم ولذا كان نثره - بالاجمال كنثر كتاب المهجر، تعوزه القوة والمتانه وإن كان غنياً بالأفكار والعواطف ومملوءاً بالمشاعر، والاحاسيس التي لايمكن اغفالها والغض من شأنها ومن قيمتها التي لمسناها في بعض نصوصه ونتاجه الأدبي والفني في الصفحات الفائتة (١).

---

(١) الفصل السادس من هذا الكتاب :

موضوعات للمناقشة

١ - أثرت في حياة الريحاني عوامل مختلفة فجعلت منـــه كاتباً وجدانياً ومصلحاً اجتماعياً ورسولاً قومياً .

٢ - ذهب الريحاني في نظرته إلى الطبيعه مذهب الشعراء الابداعيين (وكأنه مثل بدر شاكر السياب في تأثره بجماعة أبولو) .

٣ - أراد الريحاني أن يكون ثائراً اجتماعياً فكان مصلحاً ومجدداً.

٤ - قال الريحاني في أدبه الاجتماعي :

« إنما طريقتي أدبيه تهذيبية روحيه . أجل إني أدعو الناس إلى ثورة فكرية .... الثورة الأدبية قبل الثورة السياسية » .

٥ - قال الريحاني في أدبه الاجتماعي والقومي :

« لا تنسوا الانسانية في أوطانكم ولا الوطن في نزعاتكم الانسانية ».

٦ - في رسالة الريحاني قضيتان رئيسيتان متكاملتان: التحرر والوحدة.

٧ - قال الكرملي : إن غرض الريحاني .... هو أن يفتح أعيننـا على الماضي لنعتبر لا لنتغنى ونعيش في خيال ما فعله آباؤنا .

٨ - الحرية هي قضية الريحاني الكبرى في رسالته الاجتماعية والقومية .

٩ - الرحلة في كتب الريحاني أجمل منها في الواقع .

١٠- نظر الريحاني إلى اللغة والأدب من خلال نظرته العامة إلى الحياة .

١١- قال الريحاني : « وقد اختار من القوالب ماترتاح إليه ومنه أفكاري » .

١٢- تجديد الريحاني في اللغة والأدب قائم على القديم لا هو خروج عليه ولا هو جمود فيه .

١٣- خاطب الريحاني الناس بلغة العاطفة والعقل وسعى إلى الاقناع والتأثير بوسائل متنوعة من التعبير .

خاتمة البحث:

والآن من خلال تجوالنا في هذا الانسان نكون قد قدمنا دراسةعن حياة هذا الأديب اللامع ثم تحليل لأدبه وأسلوبه ثم أتبعت ذلك بدراسة نصوص من أدبه وشرحها ونقدهاواشفعت بعضها بأسئلة للمناقشة وبذلك نكون قد اطلعنا على معالم هـذا الأديب الراحل ومررنا على نماذج أدبية من انتاجه وبذلك نكون أيضاً قد ألممنا بفكرة عنه وعن الجوانب الهامة والنواحي البارزة في إنتاجه الأدبي . . . .

فهرس الكتاب

الاهداء . ٣

تقديم . ٥

الفصل الأول :

تمهيد . ١١

حياة الريحاني وبيئة وعصره .

الفصل الثاني :

مكانة الريحاني في حيّز الاصلاح الاجتماعي . ١٣

الفصل الثالث :

المشكلات الاجتماعيه ومواهبه الأدبية فيها . ٢٤

الفصل الرابع :

المشكلات السياسية وفنونه الأدبية التي تناولها ٣٠

الفصل الخامس :

تعقيب : آراء بعض الكتاب والأدباء المحدثين المعاصرين للريحاني ٣٦

الفصل السادس :

نماذج فنية مدروسة من انتاجه الأدبي . ٤٣

الفصل السابع :

حول نثر الريحاني وأسلوبه فيه ثم الخاتمة . ٧٧

خاتمة البحث ٨٣

تصويبات (١)

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٦	٧	سافر	ساخر
٧	٧	أعمق أعماقه	أغوار أعماقه
٨	١	بأروع	وأروع
٨	١	ونهل	نهل
٨	١٢	مزيدة	فريدة
١٢	١ (الهامش)	قد كان	كان
١٣	٣	التقد	التقدم
١٣	١	خمار النوم	خمار نوم طويل
١٣	١٤	ققد	فقد
١٤	١٧	ومما لاريب أن فيه	ومما لاريب فيه أن
١٥	٤ (الهامش)	ء	بما
١٦	١٣	أعز للريحاني	واعز للريحاني
١٨	٣	أنه	إنه
١٨	١٥	من	عن
٢٠	٤	طلباً	طالباً
٢٠	٨	فنفتح	فتفتح

(١) تصحح الأخطاء قبل قراءة الكتاب :

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٠	١	الهامش حذف (حول)	الأولى ....
٢١	١٤	إذن فهو	فهو إذن
٢٢	٥	يحدتنا	يحدثنا
٢٥	١٣	ومغادرتها	وإهمالها
٢٦	٥	إلي	إلى
٢٧	١٢	وضوخاً	وضوحاً
٢٧	٢١	هدا	هذا
٢٨	١٥	طربق	طريق
٢٨	٢٠	والراهن	والكاهن
٢٩	١١	يكترت	يكترث
٣٢	١٥	الفور	الغور
٣٣	٧	الطبيعة	الطبيعة
٣٧	١	(الهامش) الأمويكية	الأمريكية
٣٨	١٢	مزيدة	فريدة
٣٩	١١	لانشاء	الانشاء
٤٤	١	ومادة للتصوير حية	ومادة حية للتصوير
٤٤	٣	الهجرية	المهجرية
٤٤	١١	المحب	لحب
٤٤	١٣	يوم الايام	يوم من الأيام
٤٨	٤	زايا	زوايا

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٩	١٣	واشر	والشر
٥٠	٨	طلال	ظلال
٥١	١٦	الافهام	الالهام
٥٢	١٢	هيبته	هيبته
٥٤	١٥	ما انطوي	ما انطوى
٥٥	٧	عصى	أعصى
٥٩	٨	الثصوير	التصوير
٦٠	١٥	وما	وفي
٦١	١٢	لأثرها	وأثرها
٦١	١٩	وأنشأ	ونشأ
٦٢	١٣	ها كه يقول	تحويل العبـــارة إلى السطر (٩)
٦٧	١٩	وأصابها الغناء	فاذا ما هلكت كان الفناء نصيبها
٧٠	٨	اليكماء	البكماء
٧٢	٣	وبكي	بكى
٧٤	(الهامش)	يلفخي	يلحفني
٨٠	٥	بعض الأباء	الأدباء
٨٠	٦	ريناه	رأيناه

ثمن النسخة (١٠٠) ق.س

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074497452
(NEC)
PJ7860
.I452
Z533
1900z